

الكتاب: الصحابة في القرآن والسنّة والتاريخ

المؤلف: مركز الرسالة

الجزء:

الوفاة: معاصر

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية

تحقيق:

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١٩

المطبعة: مهر - قم

الناشر: مركز الرسالة - قم - ايران

ردمك: ٨-١١٦-٣١٩-٩٦٤

ملاحظات: سلسلة المعارف الإسلامية

مركز الرسالة

سلسلة المعارف الإسلامية (١٤)

الصحابية

في القرآن والسنّة والتاريخ

مركز الرسالة

(١)

حقوق الطبع محفوظة  
للنـاشر

شابـك (رـدمـك) ٨ - ١١٦ - ٣١٩ - ٩٦٤

٩٦٤ ISBN - ٨ - ١١٦ - ٣١٩

الكتـاب: الصـحـابة فـي الـقـرـآن وـالـسـنـة وـالـتـارـيخ

الناـشر: مرـكـز الرـسـالـة

الطبـعة: الأولى / لـسـنة ١٤١٩

المـطـبـعة: مـهـر - قـم

الكمـيـة: ٣٠٠٠ نـسـخـة

الـسـعـرـ: ١٨٠٠ رـيـال

إـيرـان - قـم - هـاتـف: ٧٣٠٠٢١، ٧٤١٤٢٠، فـاـكـس: ٧٣٧ / ٣٧١٨٥

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم  
مقدمة المركـز

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه الطـيـبين  
الـطـاهـرـين، وبـعـد:

فـإنـه ما زـالـ الكـثـيرـ من قـضـاياـ الفـكـرـ وـالتـارـيخـ يـقـرـأـ وـفقـ إـسـقـاطـاتـ الذـاتـ وـالـموـاـقـفـ  
الـمـسـبـقةـ، بـعـيـداـ عـنـ قـوـانـينـ النـقـدـ الـعـلـمـيـ وـمـواـزـينـ الـبـحـثـ الـمـوـضـوعـيـ وـضـوـابـطـهـ.  
وـبـالـرـغـمـ مـنـ أـنـاـ جـمـيعـاـ - كـمـسـلـمـينـ - نـؤـمـنـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: \* (إـنـ تـنـازـعـتـمـ فـيـ شـئـ  
فـرـدـوـهـ إـلـىـ اللـهـ وـالـرـسـولـ إـنـ كـنـتـمـ تـؤـمـنـوـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ ذـلـكـ خـيـرـ وـأـحـسـنـ  
تـأـوـيـلاـ) \* وـنـعـلـمـ أـنـ الرـدـ إـلـىـ اللـهـ هـوـ الرـجـوـعـ إـلـىـ كـتـابـهـ الـكـرـيمـ، وـالـرـدـ إـلـىـ الرـسـولـ (صـلـىـ  
الـلـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)

هـمـاـ الرـجـوـعـ إـلـىـ سـنـتـهـ الشـرـيفـةـ، بـالـرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ فـإـنـاـ فـيـ غـالـبـ الـبـحـوـثـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ  
نـلـاحـظـ غـلـبةـ الـأـسـلـوـبـ الـأـنـتـقـائـيـ الـخـاصـعـ لـهـيـمـنـةـ الذـاتـ وـالـمـوـاـقـفـ الـمـسـبـقةـ نـفـسـهـاـ، إـذـ  
يـذـهـبـ أـكـثـرـ الـبـاحـثـيـنـ إـلـىـ اـنـتـقـاءـ الـنـصـوـصـ الـتـيـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـسـنـدـ فـيـهـاـ مـوـقـفـهـ وـرـأـيـهـ، دـوـنـ  
الـنـظـرـ إـلـىـ الـنـصـوـصـ الـأـخـرـيـ الـمـشـتـرـكـةـ فـيـ الـمـوـضـوعـ نـفـسـهـ، وـالـتـيـ تـشـكـلـ مـعـ  
الـنـصـوـصـ السـابـقـةـ الصـورـةـ الـمـتـكـامـلـةـ لـلـمـوـضـوعـ.

فـالـذـيـ اـتـخـذـ مـوـقـفـاـ مـؤـيـداـ لـلـسـلـطـانـ - مـثـلاـ - وـيـحـرـمـ الـخـروـجـ عـلـيـهـ وـإـنـ كـانـ ذـلـكـ  
الـسـلـطـانـ جـائـراـ وـفـاسـقاـ، تـرـاهـ يـذـهـبـ إـلـىـ إـلـاحـجـاجـ بـالـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ الـذـيـ يـقـولـ:  
(مـنـ فـرـقـ أـمـرـ هـذـهـ أـمـةـ وـهـيـ جـمـيعـ فـاضـرـبـوـهـ بـالـسـيـفـ كـائـنـاـ مـنـ كـانـ)، وـنـظـائـرـ هـذـاـ،  
دـوـنـ أـنـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ الـأـحـادـيـثـ الـأـخـرـيـ، مـنـ قـبـيلـ قـوـلـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ): (سـيـدـ  
الـشـهـداءـ حـمـزةـ

وـرـجـلـ قـامـ إـلـىـ إـمـامـ جـائـرـ فـأـمـرـهـ وـنـهـاـءـ، فـقـتـلـهـ) وـأـمـثالـهـ الـتـيـ جـاءـتـ لـتـبـيـنـ مـفـادـ  
الـأـحـادـيـثـ الـأـوـلـيـ وـتـرـسـمـ حـدـوـدـهـاـ.

وـالـذـيـ يـذـهـبـ إـلـىـ القـوـلـ بـالـتـجـسـيـمـ تـرـاهـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ مـتـشـابـهـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ الـذـيـ  
يـفـيـدـ ظـاهـرـهـ بـعـضـ مـعـانـيـ التـجـسـيـمـ، دـوـنـ الـالـتـفـاتـ إـلـىـ الـمـحـكـمـ الـذـيـ يـوـجـهـ تـلـكـ  
الـظـواـهـرـ وـيـصـرـفـهـاـ مـنـ الـحـقـيـقـةـ إـلـىـ الـمـحـاـزـ.

ولعل مفهوم (عدالة الصحابة) هو واحد من أبرز تلك المفاهيم التي استمر الجدل حولها إلى يومنا هذا بسبب وجود من يلجأ إلى ذلك الأسلوب الانتقائي، فهذا ابن حليدون الذي وضع في مقدمته قوانين دقيقة ومتينة في نقد التاريخ تراه يتحقق في استخدامها في تاريخه عامّة، وفي تاريخ هذه الحقبة خاصة، وكأنها غابت عنه بشكل كامل، فهو حين ينتهي من التاريخ لهذه الحقبة، يقول: (هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها... أوردتتها ملخصة من كتاب محمد بن جرير الطبرى، وهو تاريخه الكبير، فإنه أوثق ما رأينا في ذلك، وأبعد عن المطاعن والشبه في كبار الأمة من خياراتها وعدولها من الصحابة والتابعين، فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء، فلا ينبغي أن تسود بها الصحف)! ونحو هذا قاله ابن الأثير في مقدمته، دون اعتماد لقوانين النقد والمقارنة والاستقراء. أما المتكلمون فقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين أوجبوا التأويل والتبرير لكل ما حفظه التاريخ من وقائع وأحداث تستدعي النظر والتحقيق في هذه المسألة (وما لم تجد له تأويلاً، فقل: لعل له تأويل لا أعلم به)! ولا شك أن مثل هذا المفهوم يجب أن يخضع - تحقيقاً وبرهاناً - للبحث التاريخي الذي يقوم على الاستقراء الشامل لتاريخ الصحابة أفراداً وجماعات.

ولا ينفصل هذا البحث التاريخي عن القرآن والسنة بحال، ذلك أن القرآن الكريم كان راصداً لتلك المرحلة من مراحل التاريخ حافظاً للكثير من مشاهدها، وهو المصدر المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقول نفسه مع السنة المطهرة حيث كان صاحبها (صلى الله عليه وآله وسلم) الشاهد والمربى والمرشد والوجه

والقائد، وقد ترك لنا الكثير من الأثر المعصوم الذي ينبغي أن نستنير به في معرفة ما يتصل بهذه الحقبة التاريخية ورجالها.

ووفق هذا المنهج سار هذا الكتاب الذي يقدمه مركزنا للقراء، خدمة للحقيقة الدينية والتاريخية، راجين أن يعم النفع به، والله الهادي إلى سواء السبيل.

مركز الرسالة

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابهم المنتجبين، وبعد:

فإن من المسائل التي لا زالت تثير جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية مسألة عدالة الصحابة، وقد بقي البحث فيها موزعاً على آراء مطابقة للأراء المتقدمة على مر التاريخ، فذهب البعض إلى عدالة جميع الصحابة، وذهب آخرون إلى عدالة بعض الصحابة دون بعض.

إن المنهج العلمي يستدعي النظر إلى الآراء والأفكار بموضوعية بحثاً عن الحقيقة لذاتها، وبعيداً عن تحكيم المركبات الذهنية المسبقة في البحث والتحقيق، لتكون النتيجة تابعة للدليل بما هو دليل وإن اصطدمت بالمؤلف والمتعارف من الآراء والأفكار والآحكام.

وفي بحثنا هذا نتبع المسألة باستنطاق القرآن والسنة والتاريخ للوصول إلى الرأي النهائي، بحيادية وموضوعية تبعاً للدليل دون التأثر بالمركبات الذهنية والأحكام المسبقة، مواكبين موارد ذكر الصحابة في القرآن الكريم، والآيات النازلة فيهم مدحاً وذماً، وما ورد عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الصحابة من روایات مادحة وذمة، ونواصل البحث من

خلال تتبع سيرهم الذاتية ضمن الحركة التاريخية لمراحل الدعوة الإسلامية، منذ انضمامهم للإسلام في بداية البعثة، ومساهمتهم الجادة

في إرساء دعائم العقيدة والشريعة، بجهادهم وتضحياتهم المتواصلة،  
معتمدين الموازين الثابتة، دون أن تخس أحداً حقه في التقييم  
الموضوعي تبعاً للقرآن والسنة والتاريخ.  
ونترك للقارئ الكريم حرية الاختيار في الحكم على النتائج طبقاً  
للأدلة والشاهد التاريخية، والله ولي التوفيق.

(٨)

## الفصل الأول

### المعنى اللغوي للصحبة

قال الخليل الفراهيدى: (كل شئ لاءم شيئاً فقد استصحبه، والصحابة: مصدر صاحبك، الصاحب يكون في حال نعتا ولكنه عم في الكلام فجرى مجرى الاسم) (١).

وقال الجوهرى: (كل شئ لاءم شيئاً فقد استصحبه. اصطحب القوم: صحب بعضهم بعضاً. أصاحب: إذا انقاد بعد صعوبة) (٢).

وقال الراغب الأصفهانى: (الصاحب: الملازم... ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعنایة والهمة.

ويقال لمالك الشئ: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرف فيه. والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع، لأجل أن المصاحبة تقتضي طول لبنة، فكل اصطحاب اجتماع، وليس كل اجتماع اصطحاباً) (٣).

١) ترتيب كتاب العين، للفراهيدى: ٤٤٠ مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤١٤ ط ١.

٢) الصباح، للجوهرى ١: ١٦٢ دار العلم للملايين ١٤٠٧ ط ٢.

٣) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى: ٢٧٥ المكتبة المرتضوية ١٣٧٣ ط ٥.

وعلى نحو هذا سار معظم أصحاب اللغة، ومن خلاله يكون معنى الصاحب هو: الملائم والمعاشر والملازم والمتابع، ولا يتم ذلك إلا باللقاء والاجتماع.

الصحبة في القرآن الكريم:

المعنى اللغوي للصحبة كما تقدم ورد في القرآن الكريم في ألفاظ متعددة تشتراك في معنى متقارب، وهو المعاشرة والملازمية المتحققة بالاجتماع واللقاء واللbeit، دون النظر إلى وحدة الإعتقاد أو وحدة السلوك، فقد أطلقها القرآن الكريم في خصوص المعاشرة بين مؤمن ومؤمن، وبين مؤمن وكافر، وبين كافر وكافر، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره (١).

أولاً: الصحبة بين مؤمن ومؤمن

قال الله تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام) في حديثه مع العبد الصالح:  
\*(قال إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) \* (٢).

فقد أطلق القرآن الصحبة على الملازمية بين موسى (عليه السلام) والخضر (عليه السلام).

ثانياً: الصحبة بين ولد ووالدين مختلفين بالاعتقاد  
قال تعالى: \*(وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) \* (٣).

---

١) تفسير القرآن الكريم، لابن كثير راجع تفسير الآيات المذكورة.

٢) سورة الكهف ١٨: ٧٦.

٣) سورة لقمان ٣١: ١٥.

ثالثاً: الصحبة بين رفيقي سفر

قال تعالى: \* (... والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب...) \* (١).

رابعاً: الصحبة بين تابع ومتبع

قال تعالى: \* (... ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) \* (٢).

خامساً: الصحبة بين مؤمن وكافر

قال تعالى: \* (... فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا...)

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) \* (٣).

سادساً: الصحبة بين النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وقومه وإن كانوا كافرين

قال تعالى: \* (ما ضل أصحابكم وما غوى) \* (٤).

و قال تعالى: \* (أو لم يتفكروا ما ب أصحابهم من جنة إن هو إلا نذير مبين) \* (٥).

سابعاً: الصحبة بين كافر وكافرين

قال تعالى: \* (فندوا أصحابهم فتعاطى فعقرا) \* (٦).

---

(١) سورة النساء ٤ : ٣٦.

(٢) سورة التوبة ٩ : ٤٠.

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٣٤ - ٣٧.

(٤) سورة النجم ٢ : ٥٣.

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٨٤.

(٦) سورة القمر ٥٤ : ٢٩.

ووردت كلمة (أصحاب) في القرآن الكريم تدل على معنى اللبث والمكوث ومنها: أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الكهف، وأصحاب القرية، وأصحاب مدين، وأصحاب الأيكة.

ووردت في العلاقة الاضطرارية الوقتية كما في خطاب يوسف (عليه السلام) لصاحبيه في السجن: \* (يا صاحبي السجن) \* (١).

فالصاحب كما ورد في الآيات الكريمة المتقدمة يعني المعاشر والملازم، ولا تصدق المعاشرة والملازمية إلا باللقاء والاجتماع واللبث معاً.

وبالتوفيق بين المعنى اللغوي عند علماء اللغة، وبين الآيات القرآنية، يكون معنى الصاحب هو: من كثرت ملازمته ومعاشرته، وهذا ما نص عليه بعضهم كصديق حسن خان حيث قال: (اللغة تقتضي أن الصاحب هو من كثرت ملامته) (٢).

الصحبة في الحديث النبوى:

أطلق لفظ الصحابي - في الروايات - على كل من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) من المسلمين، سواء كان مؤمناً به واقعاً وحقيقة، أو ظاهراً،

فكأن اللفظ شاملاً للمسلم المؤمن وللمسلم المنافق، سواء كان مشهوراً بنفاقه أو غير مشهور.

---

(١) سورة يوسف :١٢ :٣٩ .

(٢) قواعد التحديد، محمد جمال الدين القاسمي: ٢٠٠ دار الكتب العلمية ١٣٩٩ ط ١ - بيروت - عن كتاب: حصول المأمول لصديق حسن خان: ٦٥ .

فحينما طلب عمر بن الخطاب من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أن يقتل عبد الله بن أبي بن سلول - المنافق المشهور - قال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟) (١).

وحينما طلب عبد الله بن عبد الله بن أبي من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أن يقوم بنفسه بقتل والده أبا جابه (صلى الله عليه وآلها وسلم) بالقول: (بل نترفق به، ونحسن صحبيته ما بقى معنا) (٢).

فقد أطلق (صلى الله عليه وآلها وسلم) لفظ الصحابي ليشمل حتى من اشتهر بفسقه كعبد الله ابن أبي بن سلول، وأطلقه أيضاً على المستور نفاقهم، فقال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (إن في أصحابي منافقين) (٣).

المعنى الاصطلاحي للصحابي:

وردت عدة آراء في خصوص المعنى الاصطلاحي لصحابي رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم):  
الرأي الأول: لا يشترط أصحاب هذا الرأي كثرة الملازمة والمعاشرة مع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في إطلاق لفظ الصحابي، بل يكتفون بها ولو كانت ساعة أو كانت مجرد رؤية.

ففي روایة عبدوس بن مالك العطار عن أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ أَنَّهُ قَالَ:

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٣:٣٠٣. والسيرة النبوية، لابن كثير ٣:٢٩٩. وبنحوه في: صحيح البخاري ٦:١٩٢. وأسباب نزول القرآن، للواحدي: ٤٥٢.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٣:٣٠٥. والسيرة النبوية، لابن كثير ٣:٣٠١. وبنحوه في: الطبقات الكبرى، لابن سعد ٢:٦٥. وأسباب نزول القرآن: ٤٥٣.

(٣) مسند أحمد ٥:٤٠. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢:٣٩٩.

(أفضل الناس بعد أهل بدر القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو  
شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رأه، فهو من أصحابه) (١).

ومن القائلين بهذا الرأي البخاري: (ومن صحب النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أو رأه من المسلمين فهو من أصحابه) (٢).

وقال علي بن المديني: (من صحب النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) أو رأه ولو ساعة من

نهار فهو من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآلله وسلم) (٣).

وقال ابن حجر العسقلاني: (الصحابي من لقي النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مؤمناً به

ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رأه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى) (٤).

وذهب ابن حزم الأندلسي إلى هذا الرأي، ولكنه قيده بعدم التفاصيل،  
فالقول: (أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من حاصل النبي (صلى الله عليه وآله  
وسلم) ولو

ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه (عليه السلام) أمراً يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ما توا على ذلك، ولا مثل من نفاه (عليه السلام) باستحقاقه، كهيت المخنث، ومن جرى مجراه، فمن كان كما وصفنا أولاً فهو صاحب... ووفد عليه جميع البطون من جميع القبائل

<sup>١)</sup> العدة في أصول الفقه، للفراء الحنبلي :٣ ٩٨٨ - الرياض ١٤١٠ ط ٢.

٢) فتح الباري ٧: ٣.

فتح الباري ٧: ٣

<sup>٤</sup>) الإصابة، لابن حجر العسقلاني ١: ٤ دار الكتب العلمية.

وكلهم صاحب) (١).

وقيد (لم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر) مخالف لما ورد من روایات أطلق فيها رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) اسم الصحابي على المنافق المشهور وغيره.

وتتابع زین الدین العاملی رأی المشهور من المحدثین فقال: (الصحابی: من لقی النبی (صلى الله علیه وآلها وسلم) مؤمناً به ومات علی الإسلام، وإن تخللت ردته بين کونه مؤمناً وبين کونه مسلماً علی الأظهر، والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يکالمه...). (٢).

ووزع الحاکم النیسابوری الصحابة علی طبقات، وذکر في الطبقة الثانية عشرة: (صبيان وأطفال رأوا رسول الله (صلى الله علیه وآلها وسلم) يوم الفتح وفي حجة الوداع...).

ومنهم أبو الطفیل عامر بن واثلة (٣).

ومن خلال هذه الأقوال يصدق معنی الصحابی علی کل من صحب النبی (صلى الله علیه وآلها وسلم) ولو ساعة من الزمان، ورآه وإن لم یکلمه، سواء كان رجالاً كبيراً

أو امرأة أو طفلاً صغيراً، ويشرط فيه الإسلام الظاهري فیشمل المؤمن والمنافق.

الرأی الثاني: الصحابی من عاصر النبی (صلى الله علیه وآلها وسلم) وإن لم یره.

١) الإحکام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي ٥: ٨٦ دار الجيل - بيروت ١٤٠٧ ط ٢.

٢) الدرایة، زین الدین العاملی: ١٢٠ مطبعة التuman - النجف الأشرف.

٣) معرفة علوم الحديث، للحاکم النیسابوری: ٢٤ دار الكتب العلمية ١٣٩٧ ط ٢.

وذهب إلى هذا الرأي يحيى بن عثمان بن صالح المصري، فقال: (إن الصحابي من عاصره فقط)، وقال: (وممن دفن: أي بمصر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن أدركه ولم يسمع به: أبو تميم الجيشاني، واسمه

عبد الله بن مالك، كان صغيراً محكوماً بإسلامه تبعاً لأحد أبويه) (١). وعلى هذا الرأي فإن الصحابي يطلق على جميع من عاصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

من المسلمين كباراً وصغاراً وإن لم يروه، وبعبارة أخرى، إن جميع المسلمين في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هم من الصحابة، وكذا من يحكم بإسلامهم

تبعاً لأحد الأبوين.

الرأي الثالث: رأي الأصوليين.

الصحابي في رأي الأصوليين: هو من رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واحتضن به،

واتبعه أو رافقه مدة يصدق معها إطلاق (صاحب فلان) عليه بلا تحديد لمقدار تلك الصحبة.

نقل هذا الرأي محمد أمين المعروف بأمير بادشاه ونسبه إلى جمهور الأصوليين (٢).

ونسب الآمدي هذا الرأي إلى عمر بن يحيى وآخرين لم يذكر أسماءهم (٣).

وذهب إلى هذا الرأي الغزالى، فقال: (لا يطلق إلا على من صحبه، ثم

---

(١) تيسير التحرير، لمحمد أمير بادشاه ٣: ٦٧ - دار الفكر.

(٢) تيسير التحرير ٣: ٦٦.

(٣) الإحکام في أصول الأحكام ٢: ٣٢١.

يكفي للاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبتة (١).

لكن سعيد بن المسيب جعل حدا معلوما في أحد شرطين، إذ كان لا يعد في الصحابة إلا من أقام مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة فصاعدا أو غزا معه غزوة فصاعدا (٢).

وقد اعترض البعض على هذا الرأي، ومنهم ابن حجر العسقلاني، فقال: (والعمل على خلاف هذا القول، لأنهم اتفقوا على عد جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا في حجة الوداع) (٣). واعتراض ابن حزم الأندلسى على هذا الرأي فقال: (... وهذا خطأ بيقين، لأنه قول بلا برهان، ثم نسأل قائله عن حد التكرار الذي ذكر وعن مدة الزمان الذي اشترط) (٤).

وعند متابعة الكتب المؤلفة في الصحابة نجد أن كثيرا من المذكورين فيها لم يروا أو يصحبوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ساعات أو أيام معدودة، بل أن

بعضهم كان طفلا صغيرا كجريير بن عبد الله وغيره. الرأي الرابع: أن الصحابي هو: من صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وطالت صحبتة وأخذ عنه العلم.

نسب أبو يعلى الفراء الحنبلى إلى عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال: (إن

---

(١) المستصفى، للغزالى ٢ : ٢٦١ المدينة المنورة ١٤١٣ .٥

(٢) فتح الباري ٧ : ٧ .٢

(٣) فتح الباري ٧ : ٧ .٢

(٤) الإحکام في أصول الأحكام ٥ : ٨٦

هذا الاسم إنما يسمى به من طالت صحبته للنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) واحتلاطه به، وأخذ عنه العلم) (١).

والذى قيل في هذا الرأي: إن طول الصحبة ليس شرطا في إطلاق التسمية على من صحبه، لأنه يلزم إخراج كثير من الذين سموا صحابة عن الصحبة، واشترط أخذ العلم أيضاً يستلزم تضييق عدد الصحابة وإخراج الكثير منهم لأنهم لم يأخذوا العلم منه (٢).

تقييم الآراء:

قد عرفنا أن المعنى اللغوي - الذي عليه استعمالات مادة "صاحب" في الكتاب والسنة - لا يصدق إلا حيث تصدق "المعاصرة" و "الملازمنة"، ومن الواضح عدم صدق هذه المعاني على مجرد "المعاصرة" أو "الرؤوية". فالمفهوم اللغوي لهذه الكلمة مقيد بأن تكون "المصاحبة" في زمان تصدق فيه "المعاصرة"، كما أنه مطلق من حيث الإيمان وعدمه، إذ يصدق على كل من لازم شخصاً أنه صاحبه، وإن لم يكن مثله أو تابعاً له في الفكر والعقيدة، وكذا من حيث التعلم منه والأخذ عنه، وعدمه، نعم طول الملازمنة وكثرة المعاشرة مع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) يقتضيان الإيمان به واقعاً

والأخذ عنه والتعلم منه، إلا أن تكون المعاشرة والملازمنة لأغراض أخرى.

وأما ما اصطلح عليه الجمهور من أن مجرد الرؤوية كاف في إطلاق

---

(١) العدة في أصول الفقه ٣ : ٩٨٨ .

(٢) راجع العدة في أصول الفقه ٣ : ٩٨٩ .

الصحبة فيحتاج إلى دليل مقبول.

وقد يشهد بما ذكرنا ما روي عن أنس بن مالك، وقد سئل: (هل بقي من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) غيرك؟ قال: ناس من الأعراب رأوه، فأما من

صحابه فلا) وإن حاول ابن كثير توجيهه قائلاً: (وهذا إنما نفي الصحابة الخاصة، ولا ينفي ما اصطلاح عليه الجمهور من أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة) (١).

إن ما اصطلاح عليه الجمهور يحتاج إلى دليل مقبول - كما أشرنا - وإن مجرد عدهم جماعة لم يروا النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلا رؤية في الصحابة لا يكون

دليلًا، ودعوى الاتفاق منهم على ذلك غير مسموعة مع وجود الخلاف والأقوال العديدة في المسألة.

وعلى الجملة، فإنه بناء على أن يكون للمسألة أثر في العمل، فلا بد من الاقتصار على ما ذكرناه حتى يقوم الدليل الصحيح على خلافه فيكون هو المتبع، والله العالم.

---

١) الباعث الحيث في شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير: ١٧٥ دار الكتب العلمية .١٤٠٣ ط١.

## الفصل الثاني

### الصحابة في القرآن الكريم

وتعرض القرآن الكريم لأحوال الصحابة وصفاتهم منذ بداية بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى وفاته... في كثير من سوره وآياته... لقد قسم القرآن الكريم الملتفين حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - في مقابل الكافرين

والذين أتوا الكتاب - إلى ثلاثة طوائف هم:

١ - الذين آمنوا.

٢ - الذين في قلوبهم مرض.

٣ - المنافقون.

والحدير بالدراسة والبحث وجود عنوان "الذين في قلوبهم مرض" إلى جنب "الذين آمنوا" في بعض السور المكية.

ففي سورة المدثر، المكية بالإجماع، وهي من أوليات سور، جاء قوله تعالى: \* (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة \* وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون ول يقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا

أراد الله بهذا مثلاً...)\* (١).

دللت الآية المباركة على وجود أناس "في قلوبهم مرض" حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ الأيام الأولى من الدعوة الإسلامية، و "المرض" برأي معنى

فسر، فهو لاء غير المنافقين الذين ظهروا بالمدينة المنورة، قال الله تعالى:  
\*(وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ...)\* (٢).

فالذين في قلوبهم مرض لازموا النبي منذ العهد المكي، حيث كان الإسلام ضعيفاً والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مطارداً. أما المنافقون فقد ظهروا بعد أن

ظهرت شوكة الإسلام، فتظاهروا بالإسلام حفظاً لأنفسهم وأموالهم وشأنهم.

وبناءً على هذا، فكل آية من القرآن الكريم ورد في ظاهرها شيء من الثناء على عموم الصحابة، فهي - لو تم الاستدلال بها - محفوفة بما يخرجها عن الاطلاق والعموم وتكون مخصصة بـ "الذين آمنوا" حقيقة، فلا يتوجه شمولها للذين في قلوبهم مرض، والمنافقين، الذين وقع التصریح بذمهم كذلك في كثير من الآيات (٣).

وفيما يلي نستعرض الآيات القرآنية التي نزلت في الصحابة في مختلف مراحل الدعوة الإسلامية، وفي مختلف ظروفهم من حيثقرب وبعد عن الأسس الثابتة في العقيدة والشريعة، ومن حيث درجة الانقياد لله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأوامر والنواهي.

---

(١) سورة المدثر ٧٤: ٣١.

(٢) سورة التوبة ٩: ١٠١.

(٣) انظر تفسير الميزان ٢٠: ٩٠.

## آيات المدح والثناء

ذكر غير واحد من المؤلفين آيات من القرآن الكريم للاستدلال على أن الله قد أثني في كتابه على الصحابة بنحو العموم:

الآية الأولى: قال تعالى: \* (كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله... ) \* (١).

قالوا: نزلت هذه الآية في المهاجرين من مكة إلى المدينة كما ورد عن عبد الله بن عباس أنه قال: (هم الذين هاجروا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة) (٢).

وعن عكرمة ومقاتل: (نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه ونحن خير وأفضل منكم فأأنزل الله تعالى هذه الآية...) (٣).

لكن قول ابن عباس لو ثبت مقيد بما أشرنا إليه، فلا يكون المراد عموم المهاجرين الشامل للذين في قلوبهم مرض قطعا. كما أن قول عكرمة وأمثاله ليس بحججة.

١) سورة آل عمران ٣: ١١٠.

٢) تفسير القرآن العظيم، لأبن كثير ١: ٣٩٩. والدر المشور، للسيوطى ٢: ٢٩٣. وبنحوه في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤: ١٧٠.

٣) أسباب نزول القرآن، للواحدى: ١٢١.

والآية حتى لو كانت نازلة في مورد خاص إلا أن المفسرين وسعوا المفهوم ليشمل جميع الأمة الإسلامية كما يقول ابن كثير: (والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبيه) (١).

وأختلف العلماء القراءة المشهورة - في تشخيص من تشمله الآية، هل هو الأمة بأفرادها فرداً؟ أي أن كل فرد من الأمة الإسلامية هو موصوف بالخيرية، أو هو الأمة إجمالاً، أي بمجموعها دون النظر إلى الأفراد فرداً فرداً.

فذهب جماعة إلى الرأي الأول ومنهم: الخطيب البغدادي، وابن حجر العسقلاني، وابن عبد البر القرطبي، وابن الصلاح، وابن النجاشي البهيلي (٢).

فالآية في نظرهم شاملة لجميع أفراد الأمة وهم الصحابة آنذاك، فكل صاحبٍ يتصف بالخيرية والعدالة ما دام يشهد الشهادتين. وذهب آخرون إلى الرأي الثاني، وهو اتصاف مجموع الأمة بالخيرية دون النظر إلى الأفراد فرداً فرداً، وقيدوا هذه الصفة بشرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يتصف بالخيرية من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، سواء كان فرداً أو أمة.

قال الفخر الرازي: (... المعنى أنكم كنتم في اللوح المحفوظ خير الأمم وأفضلهم، فاللائق بهذا أن لا يبطلوا على أنفسكم هذه الفضيلة... وأن تكونوا منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكاليف... والألف

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١ : ٣٩٩.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٤٦ . الإصابة ١ : ٦ . والاستيعاب ١ : ٢ . ومقدمة ابن الصلاح: ٤٢٧ . وشرح الكوكب المنير ٢ : ٢٧٤ .

واللام في لفظ (المعروف)، ولفظ (المنكر) يفيدان الاستغراق، وهذا يتضمن كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر... (تأمرون) المقصود به بيان علة تلك الخيرية (١).

وقال الفضل الطبرسي: (كان بمعنى صار، ومعناه: صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله، فتصير هذه الحال... شرطاً في كونهم خيراً) (٢).

وقال القرطبي: (تأمرون بالمعروف وتهونون عن المنكر: مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصروا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم) (٣). فالخيرية تزول إن زالت علتها، وذهب إلى ذلك - أيضاً - نظام الدين النيسابوري (٤)، والشوكاني (٥)، وآخرون.

وذكر ابن كثير قوله - في ذكر الشروط - أحددهما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

والآخر لعمر بن الخطاب:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير الناس أقرأهم، وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم) (٦).

(١) التفسير الكبير ٨: ١٨٩ - ١٩١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي ١: ٤٨٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤: ١٧٣.

(٤) تفسير غرائب القرآن، للنيسابوري ٢: ٢٣٢.

(٥) فتح القدير، للشوكاني ١: ٣٧١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١: ٣٩٩.

فالآية الكريمة ناظرة إلى مجموع الأمة، أما الأفراد فقد وضع (صلى الله عليه وآلها وسلم)

مقاييساً لاتصافهم بالخيرية كما جاء في قوله.

وفي حجة حجها عمر بن الخطاب رأى من الناس دعوة، فقرأ هذه الآية، ثم قال: (من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها) (١).

وذهب أحمد مصطفى المراغي إلى أن الخيرية مختصة بمن نزلت فيهم الآية في حينها، ثم وسع المفهوم مشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: (... أنتم خير أمة في الوجود الآن، لأنكم تأمرتون بالمعروف وتحنون عن المنكر وتؤمنون إيماناً صادقاً يظهر أثره في نفوسكم... وهذا الوصف يصدق على الذين خوطبوا به أولاً، وهم النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأصحابه الذين كانوا معه وقت التنزيل... وما فتئت هذه الأمة

خير الأمم حتى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٢).

وأضاف محمد رشيد رضا: الإعتماد بحبل الله، وعدم التفرق، إلى شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: (شهادة من الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ومن اتبعه من المؤمنين الصادقين إلى زمن نزولها بأنها خير أمة

آخرحت للناس بتلك المزايا الثلاث، ومن اتبعهم فيها كان له حكمهم لا محالة، ولكن هذه الخيرية لا يستحقها من ليس لهم من الإسلام واتباع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلا الدعوى وجعل الدين جنسية لهم، بل لا يستحقها من أقام

الصلاوة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت الحرام والتزم الحلال واجتنب الحرام مع الإخلاص الذي هو روح الإسلام، إلا بعد القيام بالأمر

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٠٤ : ١.

(٢) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي ٤ : ٢٩.

بالمعروف والنهي عن المنكر وبالإعتصام بحبل الله مع ابقاء التفرق والخلاف في الدين...  
إن هذه الصفات العالية والمزايا الكاملة لذلك الإيمان الكامل، لم تكن لكل من يطلق عليه المحدثون اسم الصحابي) (١).

ومن خلال طرح هذه الآراء نجد أن الرأي الثاني هو الأقرب للمعنى المراد، فإن الآية ناظرة إلى محمل الأمة وليس إلى الأفراد فرداً فرداً.  
وأكَّدَ الدُّكتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ النَّمْلَةُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ: (... لا يَحُوزُ استعمالُ الْلَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَالْمَرَادُ مَجْمُوعُ الْأُمَّةِ مِنْ حِيثِ الْمَجْمُوعِ، فَلَا يَرَادُ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ - أَيُّ مِنَ الصَّحَابَةِ -) (٢).  
الآية الثانية: قال تعالى: \* (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً...) \* (٣).

جعل الله تعالى المسلمين أمة وسطاً بين الأمم، لا سيما اليهود والنصارى، فالآمة الوسط بعيدة عن التقصير والغلو في الإعتقداد وفي المواقف العملية من الأنبياء، قال النيسابوري: (إنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفترط، والغالى والمقصر في شأن الأنبياء لا كالنصارى... ولا كاليهود) (٤).

ويطلق الوسط أيضاً على الخيار والعدل.

(١) تفسير المنار ٤ : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) مخالفَةُ الصَّحَابَيِّ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ : ٨٢ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٤٣ .

(٤) تفسير غرائب القرآن ١ : ٤٢١ .

قال الزمخشري: (... وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار، والأوساط محمية محوطة.. أو عدوا لا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض) (١).  
وقال القرطبي نحو ذلك (٢).

والوسطية بمعنى الاعتدال بين الافراط والتفرط هي المستعملة في آراء المشهور من المفسرين (٣).

فهذه الآية كسابقتها في أن المراد مجموع الأمة من حيث المجموع، وإن حاول جماعة - ومنهم: عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، والخطيب البغدادي، وابن حجر العسقلاني، وابن عبد البر القرطبي، وابن الصلاح، وابن النجاشي (٤) - تنزيلها على الأفراد فجعلوا كل مسلم وسطاً وعدلاً، فالصحابة جميعهم عدول بشهادة القرآن لهم.

قال الفضل الطبرسي: (... إنه - تعالى - جعل أمة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عدلاً وواسطة بين الرسول والناس، ومتى قيل: إذا كان في الأمة من ليس بهذه صفتة، فكيف وصف جماعتهم بذلك؟ فالجواب: إن المراد به من كان بتلك الصفة، ولأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم) (٥).

(١) الكشاف ١: ٣١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢: ١٥٤.

(٣) مجمع البيان ١: ٢٤٤. وتفسير المراغي ٢: ٦. وتفسير المنار ٢: ٥.

(٤) الجرح والتعديل ١: ٧. والكفاية في علم الرواية: ٤٦. والإصابة ١: ٦. والاستيعاب ١: ٢.

ومقدمة ابن الصلاح: ٤٢٧. وشرح الكوكب المنير ٢: ٤٧٤.

(٥) مجمع البيان ١: ٢٢٤.

وجعل أَحمد مصطفى المراغي شرطاً للاتصال بالعدالة والوسطية، وهو اتباع سيرة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فمن لم يتبعها يعتبر خارجاً عن هذه الأمة

فقال: فنحن إنما نستحق هذا الوصف إذا اتبعنا سيرته وشرعيته، وهو الذي يحكم على من اتبعها ومن حاد عنها وابتدع لنفسه تقاليد أخرى وانحرف عن الجادة، وحينئذ يكون الرسول بدينه وسيرته حجة عليه بأنه ليس من أمته.. وبذلك يخرج من الوسط ويكون في أحد الطرفين (١).

وذهب إلى هذا الرأي محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٢). وخصص العالمة الطباطبائي هذه الصفة بالأولياء دون غيرهم، فقال: (ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليست تناها جميع الأمة، إذ ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم) (٣).

وقال - أيضاً - (فالمراد بكون الأمة شهيدة أن هذه الشهادة فيهم، كما أن المراد بكونبني إسرائيل فضلوا على العالمين، أن هذه الفضيلة فيهم من غير أن يتتصف بها كل واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه ومنه) (٤).

ومما يشهد على أن المقصود ليس أفراد الأمة، هو أن الذين ذهبوا إلى حجية إجماع الأمة استندوا إلى هذه الآية، واعتبروا إجماع الأمة هو الحجة دون النظر إلى الأفراد فرداً فرداً، كما حكى عنهم الشريف

---

(١) تفسير المراغي ٢ : ٦.

(٢) تفسير المنار ٢ : ٥.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١ : ٣٢١.

(٤) الميزان في تفسير القرآن ١ : ٣٢١.

المرتضى (١) وأبو حيان الأندلسي (٢).

وأكَد علاء الدين البخاري على أن المقصود هو مجموع الأمة فقال: (فيقتضي ذلك أن يكون مجموع الأمة موصوفا بالعدالة، إذ لا يجوز أن يكون كُل واحد موصوفا بها، لأن الواقع خلافه) (٣).

وبعد، فإن من غير الصحيح الاستدلال بالأية الكريمة على عدالة الصحابة أجمعين، أما على تفسير العالمة الطباطبائي فالأمر واضح، وأما على ما ذكرنا سابقا من ضرورة لحاظ آيات القرآن الكريم كلها وضم بعضها إلى البعض الآخر، فهي وإن شملت الأفراد لكن "الذين آمنوا" فقط، دون "الذين في قلوبهم مرض" و "المنافقين"، وأما على أقوال الجمھور، فلا يمكن أن يكون المقصود أفراد الأمة واحدا واحدا ليستفاد منها عدالة الصحابة، لأن الواقع خلافه كما نص عليه العلاء البخاري.

فالآية الكريمة جعلت المسلمين أمة وسطا أو عدلا، وهذه الوسطية والعدلية ممتدة مع امتداد الأمة الإسلامية في كل عصر وزمان، فالآمة الإسلامية في مراحل لاحقة هي أمة وسط في عقيدتها وشريعتها وتطبيقاتها للمنهج الإسلامي، وفي مرحلتنا الراهنة حينما نقول إن الأمة الإسلامية أمة وسط أو أمة عادلة، يصح القول إذا كان المقصود مجموع الأمة، أما سراية الوسطية والعدلية للأفراد فردا فردا فلا تصح، لأن الواقع يخالف ذلك، فكثير من المسلمين بعيدون عن الإسلام كُل البعد في تصوراتهم

(١) الشافعي في الإمامة ١: ٢٣٢ وما قبلها.

(٢) تفسير البحر المحيط ١: ٤٢١.

(٣) كشف الأسرار، لعلاء الدين البخاري، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٤ .٥

ومشارعهم ومواقفهم، فكيف نعم العدالة على الأفراد؟ وما قوله هنا قوله في حق أفراد الأمة في زمن النزول، فالآية مختصة بمجموع الأمة بما فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة الطاهرة (عليهم السلام) والمهاجرون والأنصار

السابقون للخيرات والذين لم يخالفوا الأوامر الإلهية والنبوية طرفة عين، واستمروا على ذلك حتى بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الآية الثالثة: قال تعالى: \* (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساعته مصيرها) \* (١). استدل البعض على طهارة وعدالة جميع الصحابة فردا فردا بهذه الآية الكريمة ومنهم عبد الرحمن الرازى (٢).

ووجه الاستدلال: أن الله تعالى جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فيكون اتباع سبيلهم واجبا، ولا يصح الأمر باتباع سبيل من يجوز عليهم الانحراف والريبة والفسق. ولا علاقة للآية بمسألة عدالة الصحابة أبدا كما لا يخفى. ومع التنزيل فإن الاستدلال بهذه الآية على عدالة جميع الصحابة فردا فردا لا يصح من عدة وجوه:

الأول: ذهب كثير من المفسرين والمتكلمين إلى أن المقصود بسبيل المؤمنين هو مجموع الأمة، ومنهم القصار المالكي والسبكي (٣).

(١) سورة النساء ٤ : ١١٥ .

(٢) الحرج والتعديل، لعبد الرحمن الرازى ١ : ٧ .

(٣) المقدمة في الأصول، للقاري المالكي: ٤٥ . والابهاج في شرح المنهاج، للسبكي ٢ : ٣٥٣ .

الثاني: المراد بسبيل المؤمنين هو الاجتماع على الإيمان وطاعة الله ورسوله، فإن ذلك هو (الحافظ لوحدة سبيلهم) (١).

الثالث: أن يكون سبيل المؤمنين حالياً من الإثم والعدوان، كما ورد في الآيات الكريمة، ومنها: قوله تعالى: \* (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) \* (٢)، قوله تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) \* (٣).

فالله تعالى ينهى عن التعاون والمناجاة بالإثم والعدوان، لإمكان وقوعه من قبل المسلمين.

الرابع: اختلف الصحابة فيما بينهم حتى وصل الحال بهم إلى الاقتتال، كما حدث في معركة الجمل وصفين، فيجب على الرأي المتقدم اتباع الجميع، اتباع علي بن أبي طالب (عليه السلام) والخارجين عليه، وهذا محال، واتباع أحدهم دون الآخر يعني عدم اتباع الجميع بل البعض منهم، وهذا هو الوجه الصحيح، وهو وجوب اتباع من وافق الحق والشريعة وليس اتباع كل سبيل.

فالسبيل المقصود هو سبيل المؤمنين الموافق للحق وللأسس الثابتة في الشريعة، وليس هو سبيل كل فرد من أفراد المؤمنين. وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى استحالة توزيع سبيل المؤمنين على

---

١) الميزان في تفسير القرآن ٥: ٨٢.

٢) سورة المائدة ٥: ٢.

٣) سورة المجادلة ٥٨: ٩.

الأفراد فقال: (إن لفظ الأمة ولفظ سبيل المؤمنين لا يمكن توزيعه على أفراد الأمة وأفراد المؤمنين) (١).

الآية الرابعة: قال الله تعالى: \* (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) \* (٢).

في هذه الآية تطيب لخاطر النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) بأن الله حسبه أي كافيه وناصره

ومؤيده على عدوه، واختلف في بيان المقصود من ذيل الآية، فقال مجاهد: (حسبك الله والمؤمنون) (٣)، فجعل المؤمنين معطوفين على الله تعالى، فالله تعالى والمؤمنون هم الذين ينصرؤن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ويؤيدووه.

وذهب ابن كثير إلى جعل المؤمنين معطوفين على النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأن الله

تعالى ناصرهم ومؤيدهم فقال: (يخبرهم أنه حسبهم، أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم) (٤).

وذكر العلامة الطباطبائي كلا الرأيين ورجح الرأي الأول (٥).

وهنالك قرينة تدل على ترجيح الرأي الأول، وهي قوله تعالى:

\* (... فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) \* (٦).

والآية تسمى من كان مع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) بالمؤمنين سواء كان الله تعالى

١) أعلام الموقعين ٤ : ١٢٧ .

٢) سورة الأنفال ٨ : ٦٤ .

٣) الدر المنشور ٤ : ١٠١ .

٤) تفسير القرآن العظيم ٢ : ٣٣٧ .

٥) الميزان في تفسير القرآن ٩ : ١٢١ .

٦) سورة الأنفال ٨ : ٦٢ .

ناصره وناصرهم، أو كان الله والمؤمنون ناصرين له (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا دلالة على أكثر من ذلك.

وقد ذهب الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني إلى أن الآية تدل على ثبوت عدالة الصحابة أجمعين وطهارتهم (١). وجعلوا الآية شاملة لجميع الصحابة حتى الذين لم يشتراكوا في أي غزوة من الغزوات، وهذا التعميم بحاجة إلى دليل، ولا يكفي أن نقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد، فالآية قد نزلت في مورد خاص وفي معركة بدر بالخصوص، فكيف نعممها على جميع الصحابة حتى الذين كانوا يقاتلون في صف المشركين ثم أسلموا فيما بعد؟

وتسلم المفسرون على نزول الآية في مورد خاص وهو غزوة بدر، وفي جماعة خاصة من الصحابة، وهم الصحابة الأوائل الذين اشتراكوا في الغزوة ولم يتخللوا، لا في مطلق الصحابة.  
فقيل: أنها نزلت في الأنصار (٢).

وقيل: أنها نزلت في الأربعين الذين أسلموا في بدايةبعثة (٣).  
وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (أنها نزلت في علي بن أبي طالب) (٤).  
والجامع المشترك لهذه الآراء أنها نزلت في الصحابة الذين شاركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في القتال.

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٦ . والإصابة في تميز الصحابة ١: ٦ .

(٢) التفسير الكبير ١٥: ١٩١ . والدر المنشور ٤: ١٠١ .

(٣) أسباب النزول، للسيوطى: ١٨٣ . والدر المنشور ٤: ١٠١ .

(٤) شواهد التنزيل، للحسكاني ١: ٢٣٠ .

وبهذا يتضح عدم صحة ما ذهب إليه الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني من شمولها لجميع الصحابة فرداً فرداً، فالمتسلل عليه أن عدد الصحابة الذين اشتركوا في غزوة بدر كانوا ثلاثة مائة وثلاثة عشر، أما بقية الصحابة الذين أسلموا فيما بعد وخصوصاً بعد فتح مكة، فقد كان بعضهم في صفوف المشركين الذين قاتلوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكيف

تشتملهم الآية التي نزلت لتطييب خاطر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإبلاغه بأن الله

تعالى كافيه وناصره على أعدائه الذين جمعوا له للقضاء عليه وعلى رسالته، وجميعهم من الصحابة الذين أسلموا فيما بعد، كمعاوية، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وغيرهم! ومع نزول الآية في الصحابة الأوائل، إلا أنها مشروطة بحسن العاقبة، كما سيأتي فيما بعد (١).

وهذا كله بحسب الأقوال والأراء في معنى الآية ونزوتها.

\* أما بالنظر إلى ما قدمناه فإن الآية المباركة تقول للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): (حسبك

الله ومن اتبعك من المؤمنين) \* وهل يعم هذا اللسان غير "الذين آمنوا" من "الذين في قلوبهم مرض" ومن "المنافقين"؟! الآية الخامسة: قال الله تعالى: \* (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر خالدين فيها أبدا...) \* (٢).

---

(١) راجع الآية السابعة من هذا الفصل.

(٢) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

في هذه الآية ثناء من الله تعالى للسابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وتصريح منه تعالى برضاه عنهم لما قدموا من تضحيات في سبيل الله.

وأختلف المفسرون في مصداق السابقين على آراء (١):  
الرأي الأول: أهل بدر.

الرأي الثاني: الذين صلوا إلى القبلتين.

الرأي الثالث: الذين شهدوا بيعة الرضوان.

وأختلفوا في تفسير التابعين على آراء:

الأول: هم الأنصار، على قراءة من حذف الواو من قوله (والذين) (٢).

الثاني: هم المسلمون الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار (٣).

الثالث: هم المسلمون الذين جاءوا بعد عصر الصحابة (٤).

الرابع: هم المسلمون في كل زمان إلى أن تقوم الساعة (٥).

واستدل الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني وابن النجاشي حسب رأيهم المعروف بهذه الآية على رضوان الله تعالى عن جميع الصحابة

---

١) مجمع البيان ٣ : ٦٤ . والجامع لأحكام القرآن ٨ : ٢٣٦ . والكشاف ٢ : ٢١٠ . وتفسير القرآن العظيم ٢ : ٣٩٨ . والدر المنشور ٤ : ٢٦٩ .

٢) التفسير الكبير ١٦ : ١٧١ .

٣) المصدر السابق ١٦ : ١٧٢ .

٤) الجرح والتعديل ١ : ٨ .

٥) الدر المنشور ٤ : ٢٧٢ .

الذين عاصروا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وإن أسلموا فيما بعد، أو ارتدوا ثم عادوا

إلى الإسلام، حسب تعريفهم للصحابة، وبهذا الرضوان كانوا عدوا (١).

وهذا الاستدلال خلاف للواقع، فالآية مختصة بالمهاجرين والأنصار الذين سبقوه غيرهم في الهجرة والنصرة، من غير "الذين في قلوبهم مرض" و "المنافقين" أما التبعية لهم فمشروطة بالإحسان، سواء فسر بإحسان القول فيهم كما ذهب الفخر الرازي (٢)، أو حال كونهم محسنين في أفعالهم وأقوالهم، كما قال المراغي: (إذا اتبعوهم في ظاهر الإسلام كانوا منافقين مسيئين غير محسنين، وإذا اتبعوهم محسنين في بعض أعمالهم ومسيئين في بعض كانوا مذنبين) (٣).

فمن لم يحسن القول فيهم أو من لا يتبعهم بإحسان لا يكون مستحينا لرضوان الله تعالى، فمن أمر بشتم الإمام علي (عليه السلام) وذمه لا تشمله الآية، فقد جاء في وصية معاوية للمغيرة بن شعبة: (لا تترك شتم علي وذمه)، فكان المغيرة (لا يدع شتم علي والوقوع فيه) (٤).

فكيف يدعون رضوان الله عنهم وقد خالفوا شرطه في الاتباع بإحسان، وخرجو على أول المؤمنين ووصي رسول رب العالمين، أو من استقرت له الخلافة ببيعة أهل الحل والعقد حسب رأيهما، وسفكوا في هذا الخروج دماء السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٦ . والإصابة ١: ٦ . وشرح الكوكب المنير ٢: ٤٧٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٦: ١٧٢ .

(٣) تفسير المراغي ١١: ١١ .

(٤) الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢ .

كumar بن ياسر وذى الشهادتين وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وغيرهم  
كمـا هو مشهور؟!

وإضافة إلى ذلك فرضوان الله تعالى مشروط بحسن العاقبة كما ورد عن  
البراء بن عازب، حينما قيل له: (طوبى لك صحيت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم)  
وبايته

تحت الشجرة)، فقال للسائل: (... إنك لا تدرى ما أحـدثنا بعده) (١).  
وقول رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم): (لا ترجعوا بعدي كفـارا يضرب بعضكم  
رقبـاـب  
بعض) (٢).

الآية السادسة: قال تعالى: \* (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت  
الشجرة فعلم ما في قلوبـهم فأنزل السـكينة عليهم وأثـابـهم فـتحـا قـرـيبـاـ) \* (٣).  
أثـنـى الله تعالى على الصحابة "المؤمنين" الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه  
وسلم)

تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان، ومصداق الثناء هو رضوان الله عنـهم  
وإنزال السـكينة على قلوبـهم.

وعلى الرغم من نزول الآية في بيعة الرضوان عام الحـديـبية  
واختصاصـها بالـمـبـاعـين فقط، وعـدـدهـم - حـسـبـ المشـهـورـ منـ الروـاـيات -  
كان ألفـاـ وأربعـمـائـةـ (٤) وهي بـقـرـيـنةـ الآـيـاتـ الأـخـرىـ مـخـصـصـةـ بـالـذـيـنـ آـمـنـواـ  
ولـمـ يـكـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـرـضـ، وـاسـتـقـامـواـ عـلـىـ الإـيمـانـ وـلـمـ يـنـحـرـفـواـ عـنـ لـوـازـمـ  
الـبيـعةـ، إـلـاـ أـنـ الـخـطـيـبـ الـبـغـادـيـ أـدـرـجـ جـمـيـعـ الصـحـابـةـ فـيـ هـذـهـ الآـيـةـ،

---

(١) صحيح البخاري ٥: ١٦٠.

(٢) مسند أحمد ٦: ١٩.

(٣) سورة الفتح ٤٨: ١٨.

(٤) السيرة النبوية، لـابـنـ هـشـامـ ٣: ٣٢٢ـ . والـسـيـرـةـ النـبـوـيـةـ، لـابـنـ كـثـيرـ ٣: ٣٢٤ـ .

وتابعه ابن حجر العسقلاني مستشهاداً برأيه (١)، ولهذا ادعوا عدالة جميع الصحابة كما هو المشهور في تعريفهم للصحابي.

وهذا الادعاء غير صحيح، فرضوان الله وسكناته مختصة بالمباعين الموصوفين بما ذكرناه فقط، أما غيرهم فخارج عن ذلك، ولأن سبب البيعة هو وصول الخبر بمقتل عثمان من قبل المشركيين بعد أن أرسله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبعوثاً عنه إلى قريش، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى البيعة على

قتال المشركيين (٢)، وهؤلاء المشركون هم الذين أسلموا فيما بعد وأصبحوا من الصحابة، فكيف يشملهم رضوان الله وسكناته، وهم السبب الأساسي في الدعوة إلى البيعة، فكيف يعقل أن يكون رضوان الله شاملًا للمباعين وللمراد قتالهم في آن واحد؟!

وإضافة إلى ذلك فإن الأجر المترتب على البيعة موقوف على الوفاء بالعهد، كما جاء في الآية الكريمة: \* (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا) \* (٣)، فرضوان الله وسكناته مشروطة بالوفاء بالعهد وعدم نكثه (٤).

وكل ذلك مشروط بحسن العاقبة كما في رواية البراء بن عازب المتقدمة، ولم تمض على البيعة إلا أيام معدودة حتى عقد رسول

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٦ . والإصابة: ١ : ٦ - ٧ .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣ : ٣٣٠ .

(٣) سورة الفتح: ٤٨ : ١٠ .

(٤) الكشاف: ٣ : ٥٤٣ . ومجمع البيان: ٥ : ١١٣ . وتفسير القرآن العظيم: ٤ : ١٩٩ .

الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) معاهدـة الصلـح في الحـديـة، فـدخل الشـكـ والـرـيبـ قـلـوبـ بـعـضـ الصـحـابـةـ حـتـىـ خـالـفـواـ أوـامـرـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)، فـلمـ يـسـتـجـيـبـواـ لـهـ حـيـنـماـ أـمـرـهـ بـالـحـلـقـ وـالـنـحـرـ (١)ـ إـلاـ بـعـدـ التـكـرـارـ وـقـيـامـهـ بـنـفـسـهـ بـالـحـلـقـ وـالـنـحـرـ،ـ وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ لـحـسـنـ العـاقـبـةـ دـورـاـ كـبـيرـاـ فـيـ الـحـكـمـ عـلـىـ الـبعـضـ بـالـعـدـالـةـ وـعـدـمـهـاـ،ـ فـرـضـوـانـ اللـهـ تـعـالـىـ إـنـمـاـ خـصـصـ بـالـبـيـعـةـ،ـ وـلـاـ دـلـيلـ لـشـمـولـهـ لـجـمـيعـ الـمـراـحـلـ الـتـيـ تـعـقـبـ مـرـحـلـةـ الـبـيـعـةـ،ـ فـمـثـلاـ أـنـ قـاتـلـ عـمـارـ بـنـ يـاسـرـ فـيـ صـفـيـنـ كـانـ مـنـ الـمـبـاـيـعـينـ تـحـتـ الـشـجـرـةـ (٢)ـ.ـ وـقـدـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فـيـ عـمـارـ:ـ (ـقـاتـلـهـ وـسـالـبـهـ فـيـ النـارـ)ـ (٣)ـ،ـ وـقـالـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ):ـ (ـوـيـحـ عـمـارـ تـقـتـلـهـ الـفـةـ الـبـاغـيـةـ،ـ عـمـارـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ اللـهـ،ـ وـيـدـعـونـهـ إـلـىـ النـارـ)ـ (٤)ـ.

الـآـيـةـ الثـامـنـةـ:ـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ \*ـ (ـمـحـمـدـ رـسـوـلـ اللـهـ وـالـذـيـنـ مـعـهـ أـشـدـاءـ عـلـىـ الـكـفـارـ رـحـمـاءـ بـيـنـهـمـ تـرـاهـمـ رـكـعـاـ سـجـدـاـ يـبـتـغـونـ فـضـلـاـ مـنـ اللـهـ وـرـضـوـانـاـ...ـ وـعـدـ اللـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـعـمـلـواـ الـصـالـحـاتـ مـنـهـمـ مـغـفـرـةـ وـأـجـرـاـ عـظـيـمـاـ)ـ \*ـ (٥)ـ.

وـصـفـ اللـهـ تـعـالـىـ رـسـوـلـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـأـصـحـابـهـ بـأـنـهـمـ أـشـدـاءـ عـلـىـ الـكـفـارـ رـحـمـاءـ بـيـنـهـمـ،ـ عـرـفـواـ بـالـرـكـوـعـ وـالـسـجـودـ وـابـتـغـاءـ الـفـضـلـ وـالـرـضـوـانـ مـنـ اللـهـ،ـ وـوـعـدـ تـعـالـىـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـهـمـ وـالـذـيـنـ عـمـلـواـ الـصـالـحـاتـ مـغـفـرـةـ وـأـجـرـاـ عـظـيـمـاـ.

(١) تـارـيـخـ الـيـعقوـبـيـ ٥٥٥ـ.ـ وـالـكـامـلـ فـيـ التـارـيـخـ ٢٠٥ـ.

(٢) الفـصـلـ فـيـ الـأـهـوـاءـ وـالـمـلـلـ وـالـنـحـلـ ٤:٦٦١ـ.

(٣) سـيرـ أـعـلامـ الـبـلـاءـ ١:٤٢٠ـ - ٤٢٦ـ.ـ وـالـطـبـقـاتـ الـكـبـيرـىـ ٣:٢٦١ـ.ـ وـأـسـدـ الـغـابـةـ ٤:٤٧ـ.ـ وـكـنـزـ

الـعـمـالـ ١٣:٥٣١ـ / ٧٣٨٣ـ.ـ وـمـجـمـعـ الزـوـائـدـ ٩:٢٩٧ـ وـقـالـ:ـ رـجـالـهـ رـجـالـ الصـحـيـحـ.

(٤) صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ٤:٢٥ـ.ـ وـبـنـحـوـهـ فـيـ الـعـقـدـ الـفـرـيدـ ٥:٩٠ـ.ـ وـالـكـامـلـ فـيـ التـارـيـخـ ٣:٣١٠ـ.

(٥) سـوـرـةـ الـفـتـحـ ٤٨:٤٨ـ.

وقد أختلف في الصحابة الذين نزلت فيهم الآية، فذهب ابن الصلاح وابن النجاشي إلى أن الآية شاملة لكل الصحابة (١).  
وذهب آخرون إلى أن الآية خاصة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات من الصحابة، وإلى هذا الرأي أشار العلامة الطباطبائي بالقول: (... ضمير " منهم " للذين معه، و " من " للتبعيض على ما هو الظاهر المتبارد... ويفيد الكلام اشتراط المغفرة والأجر العظيم بالإيمان حدوثاً وبقاء، وعمل الصالحات، فلو كان منهم من لم يؤمن أصلاً كالمخالفين الذين لم يعرفوا بالنفاق... أو آمن أولاً ثم أشرك وكفر... أو آمن ولم يعمل الصالحات، لم يشمله وعد المغفرة والأجر العظيم).

وقيل: إن " من " في الآية بيانية لا تبعينية، فتفيد شمول الوعد لجميع الذين معه، وهو مدفوع... بأن " من " البيانية لا تدخل على الضمير مطلقاً...) (٢).

والآية الكريمة نزلت في أصحاب بيعة الرضوان ومن شهد الحديبية (٣)، وتعميمها على الصحابة جميعاً - حتى الذين أسلموا بعد صلح الحديبية - بحاجة إلى دليل.

وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الذين كانوا معه والرحماء بينهم والأشداء على الكفار هم الذين شهدوا الحديبية، أما غيرهم فكان باقياً على كفره

(١) مقدمة ابن الصلاح: ٤٢٧ . وشرح الكوكب المنير: ٤٧٤ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٨ : ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) تفسير الماوردي ٥: ٣٠٩ . وأسباب نزول القرآن، للواحدي ٣٩٧ . وأسباب النزول، للسيوطى: ٣٤١ .

ولم يسلم إلا بعد فتح مكة، فكيف يصح التعميم؟!  
وصفات الرحمة بينهم والشدة على الكفار، هي التي أوجبت لهم  
المغفرة والأجر من الله تعالى، ومن لا يتتصف بهذه الصفات فخارج  
موضوعاً عنهم، وقد حذرهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من الافتتال  
الداخلي فقال:

(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (١).

فقد قتل عبد الرحمن بن عديس البلوي عثمان بن عفان،  
وعبد الرحمن من الذين بايعوا بيعة الرضوان (٢)، وحارب معاوية الإمام  
علياً (عليه السلام)، بعد أن أهدى إلى قيصر الروم ذهباً وفضة ليتفرغ إلى حرب  
الإمام علي (عليه السلام) (٣)، فكان مخالفًا لصفة الذين آمنوا وهي الرحمة بينهم  
والشدة على أعدائهم، فقد وادع عدوه، وحارب وليه. وقتل في معركة  
صفين خيار الصحابة ومن المهاجرين الأوائل، كعمر بن ياسر وخزيمة بن  
ثابت ذي الشهادتين.

وقتل معاوية الصحابي حجر بن عدي، وقد قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)  
بحقه

وحق من قتل معه: (يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات) (٤).  
وإذا برر البعض ما فعله معاوية بأنه كان مجتهداً - كما سيأتي -  
فلا اجتهاد لبسر بن أرطأة حينما قتل طفلين لعبد الله بن العباس بن

---

(١) مسنـد أـحمد ٦: ١٩. وصـحـيـح البـخـارـي ١: ٣٩. وصـحـيـح مـسـلم ١: ٨٢.

(٢) تـارـيـخـ المـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ ٤: ١٥٥.

(٣) الإـمـامـةـ وـالـسـيـاسـةـ ١: ٩٨.

(٤) تـارـيـخـ الـيـعقوـبـيـ ٢: ٢٣١.

عبد المطلب (١).

وهذه الأحداث تدل على انتزاع صفة الرحمة من بعض الصحابة،  
فكيف يدخلون في عموم الآية؟!

الآية التاسعة: قال تعالى: \* (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم  
وأموالهم يتغرون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم  
الصادقون) \* (٢).

ويتحقق بها قوله تعالى: \* (والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون  
من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويتبرون على أنفسهم  
 ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) \* (٣).

وقوله تعالى: \* (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا أغر لنا ولإخواننا  
الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف  
رحيم) \* (٤).

أثنى الله تعالى على الصحابة من المهاجرين والأنصار والذين آمنوا  
فيما بعد، والظاهر من الثناء اختصاصه بالمجموع لا بالأفراد فردا،  
لأن الثناء انصب على خصائصهم المشتركة النبيلة المتمثلة بنصرهم لله  
ورسوله والإيثار على النفس، والدعاء للسابقين بالمعفورة، ونزع الغل - أي  
العداوة - من قلوب الذين آمنوا بعد الهجرة، فمن يتصرف بهذه الصفات

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤. وشرح نهج البلاغة ١: ٣٤٠.

(٢) سورة الحشر ٥٩: ٨.

(٣) سورة الحشر ٥٩: ٩.

(٤) سورة الحشر ٥٩: ١٠.

يستحق الثناء.

وقد وردت تفاسير عديدة تؤكّد أن المراد بالصادقين بعض المؤمنين وليس جميعهم (١).

ولا ريب في أن المراد من هذا البعض هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم والمخلصون لله سبحانه في جميع حالاتهم، فالآية لا تعم الذين في قلوبهم مرض، والذين آمنوا بآمنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

بينما ذهب الخطيب البغدادي وأبن حجر العسقلاني إلى أن الثناء يشمل جميع أفراد المؤمنين، أي الصحابة فرداً فرداً (٢)، فهم الصادقون والمفلحون.

لكن هذا القول يدفعه الثابت من سير بعض الصحابة وتاريخهم، فإذا تتبعنا سيرة بعض الصحابة نجد لهم قد بدأوا الدعاء بالغفران للسابقين إلى اللعن والشتم، والدعاء برفع الغل والعداوة إلى العداء الحقيقي الذي وصل إلى حد استحلال قتل من تقدمهم بالإيمان والهجرة، فكيف تشملهم الآية؟!

وكان معاوية وولاته يسبون الإمام علياً (عليه السلام) من على منابر المسلمين (٣). ووضع معاوية قوماً من الصحابة على رواية أخبار قبيحة في الإمام علي (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، ويجعل لهم هدايا من بيت المال

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٨: ١٠. وشواهد التنزيل: ٣٥١. والدر المنشور ٤: ٣١٦.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٤٦. والإصابة ١: ٦ - ٧.

(٣) مسند أحمد ٧: ٤٥٥. والمعجم الكبير ٢٣: ٣٢٣. والعقد الفريد ٥: ١١٥.

مقابل ذلك (١).

فأين الدعاء بالغفرة، والدعاء برفع الغل والعداوة؟ وهل يصح الاجتهاد في سب المهاجرين الأوائل المنزهة قلوبهم من أي مرض؟!  
وقد اعترف مروان بن الحكم بأن سب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا مبرر له إلا الحفاظ على كرسي الحكم بعد أن أثبت براءته من دم عثمان، حيث جاء في قوله للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام): (ما كان أحد أكفر عن أصحابنا من صاحبكم) فقال (عليه السلام): (فلم تشتمونه على المنابر؟) قال مروان: (لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك) (٢).

فمن بدل الدعاء بالغفران ورفع الغل بالشتم والقتال، لا يكون مصداقا لآيات المتقدمة.

وخلاصة ما تقدم أن الآيات النازلة بحق الصحابة والثناء عليهم، لم تكن شاملة لجميع الأفراد، فبعضها ناظر إلى المجموع بما هو مجموع دون السراية إلى الأفراد، وبعضها مختص بطائفة منهم وضمن مواصفات خاصة، وبعضها مشروط بشروط معينة، وبعضها مشروط بحسن العاقبة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٦٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٢٢٠ . وبنحوه في أنساب الأشراف ٢ : ١٨٤ .

## آيات الدزم والتقرير

ابعد كثير من الصحابة في مواقفهم وسلوكيهم عن المنهج الإلهي المرسوم لهم، وخالفوا القواعد الأساسية للسلوك الإسلامي، فنزلت الآيات في ذمهم وتقريرهم، وسنذكر بعض هذه الآيات حسب ترتيبها في القرآن الكريم.

الآية الأولى: قال تعالى: \* (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) \* (١).

النفاق قسمان: قسم واضح وظاهر للعيان، وقسم خفي لا يعلمه إلا الله، لأنهم يبطون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا (٢).

أو كما وصفهم الفخر الرازي: (إنهم تمرنوا في حرفة النفاق، فصاروا فيها أستاذين، وبلغوا إلى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع قوة خاطرك وصفاء حدسك ونفسك) (٣).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يتعامل مع المسلمين حسب ظواهرهم ولا يتبعهم أو يعلن عن أسماء المنافقين الذين يعرفهم، فعن أبي الدرداء أن رجلاً يقال له حرملة.. قال: يا رسول الله: إنه كان لي أصحاب من المنافقين، وكنت رأساً فيهم، أفلأ آتيك بهم، قال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (من أثنا

(١) سورة التوبة ٩: ١٠١.

(٢) راجع الكشاف ٢: ٢١١.

(٣) التفسير الكبير ١٦: ١٧٣.

استغفرونا له، ومن أصر فالله أولى به، ولا تحرقن على أحد سترا) (١).  
فوجود منافقين بين الصحابة، يعني أننا لا نستطيع أن نحكم على أفراد  
الصحابة بالخيرية والعدالة، وإنما ننظر إلى سلوكهم ومواقعهم العملية،  
فمن كان سلوكه و موقفه مطابقا لقواعد الإسلام الثابتة فهو من الأخيار  
والعدول، ومن لم يكن كذلك، فلا نحكم عليه بالخيرية والعدالة، وإنما  
نصفه بالوصف الذي يستحقه دون الحاجة إلى تبرير سلوكه و موقفه تارة  
بالتأويل وأخرى بالاجتهاد، فما دام النفاق موجودا لدى بعضهم في حياة  
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنه مستمر بالوجود بعد وفاته، وخصوصاً أن  
المنافقين

أصبحوا في مأمن من كشف الوحي أسرارهم.

الآية الثانية: قال الله تعالى: \* (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن  
أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا  
والآخرة...). \* (٢).

نزلت الآية في الذين أسلموا إسلاماً غير مستقر، قال الزمخشري:  
(على حرف: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم  
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة... قالوا: نزلت في  
أعaries قدموها المدينة، وكان أحدهم إذا صبح بدنه وتحجت فرسه مهرا  
سريا، ولدت امرأته غلاماً سرياً، وكثير ماله وماشيته، قال: ما أصبت منذ  
دخلت في ديني هذا إلا خيراً... وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا

---

١) تفسير القرآن العظيم ٢ : ٣٩٩.

٢) سورة الحج ٢٢ : ١١.

شرا) (١). ونحو ذلك قال ابن كثير (٢).  
والأعراب هم قوم من الصحابة، لأنهم صحبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
ولو

ساعة من نهار حسب تعريف المشهور، وإن درجات إيمانهم تتناسب  
طردياً مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، فهم بين اندفاع وانكماش  
وبين تقدم وتراجع تبعاً للظروف، وهؤلاء وإن أسلموا ورافقوا رسول  
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الوقت، إلا أن الإيمان لم يدخل قلوبهم، كما عبر  
عنهم

القرآن الكريم: \* (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما  
يدخل الإيمان في قلوبكم... إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتباوا  
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) \* (٣).  
ويلحق بهم المؤلفة قلوبهم من الصحابة، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
كان

يعطيهم الأموال ليتألفهم على الإسلام، ومنهم أبو سفيان وأولاده (٤).  
ومثل هؤلاء الذين يكون ارتباطهم بالإسلام قائماً على أساس مقدار  
العطاء، لا تتوقع أن يكونوا بمستوى المجاهدين الذين جاهدوا في سبيل  
الله بأموالهم وأنفسهم، ثم لم يرتباوا.

الآية الثالثة: قال الله تعالى: \* (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... لكل  
امرأة منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولي كبره منهم له عذاب عظيم) \* (٥).

١) الكشاف ٣: ٧.

٢) تفسير القرآن العظيم ٣: ٢١٩.

٣) سورة الحجرات ٤٩: ٤٩ - ١٤ - ١٥.

٤) ربيع الأول ١: ٧٨٨. ومحتصر تاريخ دمشق ١١: ٦٤. وسير أعلام النبلاء ٢: ١٠٦.

٥) سورة النور ٢٤: ١١.

نزلت هذه الآية وآيات أخرى في الصحابة الذي اتهموا إحدى زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بالفاحشة، فكان بعضهم من المنافقين، وكان البعض الآخر من الصحابة غير المنافقين، قال ابن كثير: (جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان، بل جماعة.. فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به، وجوزه آخر منهن، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن) (١).

فقد ارتكب جماعة من الصحابة ذنبا عد من كبائر الذنوب، فاتهام المسلمة وقدفها من الكبائر، فكيف والمتهمة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)؟!

ولم يحاول رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تبرئة زوجته محتجاً بأن شرف الصحبة له يمنعها من ممارسة ما اتهمت فيه، وإنما انتظر الوحي واكتفى (صلى الله عليه وآلها وسلم) بقوله:

(يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي... ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً).

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: (يا رسول الله، أنا أعتذر لك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك)، فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: (كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله)، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: (كذبت، لعمر الله لنقتلنـه، فإنك منافق تجادل عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ : ٢٧٩.

المنافقين) (١).

وما جرى بين الصحابة، من مشادة واتهام بالكذب والنفاق يعني تجويز الكذب عليهم، وتجويز النفاق عليهم، وإن شرف الصحابة لا يحصنهم من ذلك. هذا ما كان يقوله الصحابة أنفسهم في بعضهم، فهل للجدال فيه معنى؟!

الآية الرابعة: قال الله تعالى: \* (أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمْنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) \* (٢).

نزلت هذه الآية في الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والوليد بن عقبة، قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا).

فقال له الإمام علي (عليه السلام): (اسكت، فإنما أنت فاسق)، فنزلت الآية، قال عبد الله بن عباس: (يعني بالمؤمن علينا، وبالفاشق الوليد بن عقبة) (٣). وقد اتفق كثير من المفسرين في أن المراد بالفاشق هو الوليد بن عقبة (٤).

ونزلت آية أخرى في الوليد بن عقبة، وسمته فاسقا، وهي قوله تعالى:  
\* (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

(١) صحيح البخاري ٦: ١٣٠.

(٢) سورة السجدة ٣٢: ١٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي ٣٦٣.

(٤) الكشاف ٣: ٥١٤. وأسباب النزول، للسيوطى: ٢٩٣. والدر المنشور ٣: ٥١٤.

فتسبحوا على ما فعلتم نادمين) \* (١).  
وبسبب النزول أن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بعث الوليد بن عقبة لجمع  
صدقات

بني المصطلق، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتلية،  
فرجع لرسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)، وقال له إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة،  
فجاؤوا إلى

رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأخبروه بعدم صحة قول الوليد، فنزلت الآية.  
وهي محل  
اتفاق بين المفسرين والمؤرخين في نزولها في الوليد بن عقبة، وفي  
تسميتها فاسقا (٢).

والوليد بن عقبة كان مشهوراً بالفسق حتى بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآلها  
وسلم)،  
ففي خلافة عثمان بن عفان كان الوليد أميراً على الكوفة، فشرب الخمر،  
وصلى بالناس جماعة وهو سكران (٣).

وقال ابن حجر العسقلاني: (وقصة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو  
سكران مشهورة مخرجة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر  
مشهورة أيضاً مخرجة في الصحيحين) (٤).

الآية الخامسة: قال الله تعالى: \* (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم  
مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) \* (٥).

(١) سورة الحجرات ٤٩:٦.

(٢) السيرة النبوية، لأبي هشام ٣:٣٠٩. وأسباب نزول القرآن، للواحدي: ٤٠٧. وال Kashaf ٣:  
٥٥٩. وتفسير القرآن العظيم ٤:٢٢٤. والإصابة ٦:٣٢١. وأسباب النزول، للسيوطى: ٣٤٧.

(٣) الإمامة والسياسة ١:٣٢. وتاريخ اليعقوبي ٢:١٧٤. وال Kashaf ٣:٥٥٩.

(٤) الإصابة ٦:٣٢٢.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣:١٢.

وقال تعالى: \* (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْمَرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ... ) \* (١).

يدَكُرُ اللَّهُ تَعَالَى صَنْفَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مِنَ الصَّحَابَةِ: الْمُنَافِقِينَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ، فَكَلَّا هُمَا يَشَهِدُ الشَّهَادَتَيْنِ وَيَعْتَرِفُ وَلَوْ بِالظَّاهِرِ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رَسُولاً.

وَهُنَالِكَ ثَلَاثَةُ آرَاءٍ فِي مَعْنَى \* (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ) \* :

فَعْنَ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ.

وَعَنْ عُكْرَمَةَ قَالَ: أَصْحَابَ الْفَوَاحِشِ.

وَعَنْ عَطَاءَ قَالَ: كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا فِي أَنفُسِهِمْ أَن يَزْنُوا وَ... (٢).

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا وَاضْحَى الْضَّعْفُ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَى \* (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ) \* : (هُمْ ضَعَفَاءُ الإِيمَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ غَيْرُ الْمُنَافِقِينَ) (٣).

نَعَمْ، هُمْ غَيْرُ الْمُنَافِقِينَ، لَأَنَّهُمُ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا بِالإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ لَا خُوفًا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بَلْ لِأَغْرِاصٍ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَضَعَفَاءُ الإِيمَانِ يُمْكِنُ صَدُورُ الذَّنْبِ وَالْمُعْصِيَةِ مِنْهُمْ، وَقَدْ صَدَرَ بِالْفَعْلِ بِقَوْلِهِمْ: \* (مَا وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غَرُورًا) \*، وَهَذَا القَوْلُ مِنْ أَعْظَمِ

١) سورة الأحزاب: ٣٣: ٦٠ .

٢) الدر المنشور: ٦: ٦٦٢ - ٦٦٣ .

٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٦: ٢٨٦ .

الذنوب والمعاصي.

\* وقد حذر الله تعالى نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) من ترقيق القول، وقال: \* (... فلا

تحضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض...). \*

\* وقال العالمة الطباطبائي في تفسيره: (\* فيطمع الذي في قلبه مرض)

وهو فقدانه قوة الإيمان التي ترده عن الميل إلى الفحشاء) \*

فالذي في قلبه مرض يميل إلى الذنوب والمعاصي حسب درجة قوة

ضعف إيمانه وعاقبته إما الاستقامة وإما الانحراف.

الآية السادسة: قال الله تعالى: \* (يا نساء النبي من يأت منك بفاحشة  
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين... ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا

نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً) \*

إنه قد تكون المرأة من نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) أكثر وأطول صحبة له  
من الغير،

ولكن لا تأثير لهذه الصحبة في السلوك وال موقف العملي، فهي لا تعصم

من الخطأ والزلل إلا إذا أعطى الصاحب للصحبة حقها بالاقتداء برسول

الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)، ولهذا فالله تعالى يحذر نساء النبي (صلى الله عليه

وآلها وسلم) من إتيان الفاحشة،

ويهدد بجعل العذاب ضعفين لقربهن من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم).

قال القرطبي: (لما كان أزواج النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في مهبط الوحي وفي  
منزل

أوامر الله ونواهيه، قوي الأمر عليهم ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٦ : ٣٠٩ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٠ - ٣١ .

غيرهن فضوعف لهن الأجر والعذاب، وقيل: إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة

في إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

فالصحبة بمفردها غير عاصمة من الزلل والخطأ، ويكون الزلل والخطأ أكثر قبحاً إن صدر ممن صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأن الحجة عليه تكون أكذ وأشد.

والأخطاء التي ارتكبت من قبل بعض نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر واقع،

فعن عائشة أنها قالت: (إن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش... فتوطأت أنا وحفصة أن أينا دخل عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير.. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا بل شربت عسلا عند زينب) (٢).

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال لحفصة: (أتغاضبن إحداكن رسول الله يوماً إلى الليل؟) قالت: نعم، قال: (افتأنين أن يغضب الله لغضب رسوله فيهلكك؟) (٣).

وقد نزلت آيات عديدة في نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونساء الأنبياء (عليهم السلام)، منها:

قال الله تعالى: \* (إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكم وإن تظاهرا عليه فإن

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٧٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢: ٢١٤. وبنحوه في المعجم الكبير ٢٣: ٣١٠. والمغافير: جمع المغفار، وهو صمع حلو يسيل من بعض الشجر.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٨: ١٨٢. وبنحوه في المعجم الكبير ٢٣: ٢٠٩.

الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير \* عسى ربه إن طلقن أن يدلله أزواجا خيرا منك...). \* (١).

وقال الله تعالى: \* (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغريا عنهم من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) \* (٢).

وقال تعالى: \* (و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون... و مريم ابنة عمران) \* (٣).

وفي تفسير الزمخشري للآيات المتقدمة قال: (... وفي طي هذين التمثيلين تعرىض بأمي المؤمنين - يعني عائشة وحفصة - وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه

وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر... وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تتکلا على أنهما زوجا رسول الله، فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين...). (٤).

فالصحبة الطويلة والكثيرة لرسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فضل وشرف ولكنها غير

عاصمة من الزلل، فلو كانت عاصمة لعصمت امرأة نوح وامرأة لوط، فكان مصيرهما النار، ولم تنفعهما صحبتهما للنبي.

---

(١) سورة التحريم: ٦٦: ٤ - ٥.

(٢) سورة التحريم: ٦٦: ١٠.

(٣) سورة التحريم: ٦٦: ١١ - ١٢.

(٤) الكشاف: ٤: ١٣١.

فالميزان هو الاستقامة والاعتدال، والاستعداد لهما، ومجاهدة النفس للوصول إلى مراتب الكمال والعدالة.

الآية السابعة: قال الله تعالى: \* (... وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيمًا) \* (١). نزلت هذه الآية في بعض الصحابة الذين آذوا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)، فقد

روى الطبرسي: (أن رجليين قالا: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه، والله لئن مات لنكحنا نساؤه، وكان أحدهما يريد عائشة، والآخر يريد أم سلمة) (٢).

وعن السدي أنه قال: (بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أیحجبنا محمد عن بنات عمـنا ويتزوج نسـاءـنا، لـئـنـ حـدـثـ بـهـ حدـثـ لـتـزـوـجـ نـسـاءـهـ منـ بـعـدـهـ) (٣).

وفي رواية أن محمد بن عمرو بن حزم، قال: (إذا توفي رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) تزوجت عائشة) (٤).

وعن عبد الله بن عباس قال: (إن رجلا أتى بعض أزواج النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم): لا تقومـنـ هذا المقام بعد يومك هذا... فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمـيـ، لأنـزـوـجـنـهاـ منـ بـعـدـهـ، فـأـنـزـلـ اللـهـ هـذـهـ الآـيـةـ... فـأـعـتـقـ ذـلـكـ الرـجـلـ رـقـبـةـ، وـحـمـلـ عـلـىـ عـشـرـةـ أـبـرـةـ

---

١) سورة الأحزاب: ٣٣: ٥٣.

٢) مجمع البيان: ٤: ٣٦٦.

٣) أسباب النزول، للسيوطـيـ: ٣٠٦.

٤) أسباب النزول، للسيوطـيـ: ٣٠٦. والدر المـثـورـ: ٥: ٢١٥.

في سبيل الله، وحج ماشيا توبة من كلمته) (١).  
وفي هذه الرواية أدرك ذلك الصحابي عظم الذنب، فتاب إلى الله تعالى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الصحابي معرض للانحراف والانزلاق، وهو يستقيم أحياناً وينحرف أخرى وباب التوبة مفتوح للتائبين.

الآية الثامنة: قال الله تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) \* (٢).

عن أبي العالية قال: (كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت الآية)، فخافوا أن يبطل الذنب العمل) (٣).

فهذه الآية نزلت لتصحيح المفاهيم الخاطئة، وأثبتت أن الأعمال الصالحة تبطل بالذنوب.

وقد أكد القرآن الكريم على أن الذنوب تبطل وتحبط الأعمال وإن كانت غير واضحة عند مرتكبها قال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرؤن) \* (٤).

---

(١) أسباب النزول، للسيوطى: ٣٠٧.

(٢) سورة محمد: ٤٧: ٣٣.

(٣) أسباب النزول، للسيوطى: ٣٤١.

(٤) سورة الحجرات: ٤٩: ٢.

## آيات واضحة الدلالة:

وردت آيات عديدة واضحة الدلالة في وصف واقع الصحابة من حيث قربهم وبعدهم عن المنهج الإسلامي الثابت في أسسه وموازينه، وفيما يلي نستعرض هذه الآيات.

قال الله تعالى: \* (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أَفَإِن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) \* (١).

وقال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم... ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتبع فأولئك هم الظالمون) \* (٢).

وقال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون \* كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) \* (٣).

وقال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) \* (٤).

ووردت آيات عديدة تتحدث عن دور الأهواء والمغريات الخارجية ودور الشيطان في منع الإنسان من الاستقامة والاعتدال، ووردت آيات عديدة تنهى الصحابة عن ممارسات خاطئة وقعوا فيها، وتحذرهم من

(١) سورة آل عمران: ٣: ١٤٤.

(٢) سورة الحجرات: ٤٩: ١١.

(٣) سورة الصاف: ٦١: ٢ - ٣.

(٤) سورة المنافقون: ٩: ٦٣.

عذاب الله تعالى، وتخوفهم من سوء العاقبة بالارتداد والرجوع إلى الكفر، و كان الترغيب والترهيب هو السائد في أغلب الآيات القرآنية من أجل إصلاح الصحابة وربطهم بالمنهج الإسلامي ليكون حاكماً على تصوراتهم ومشاعرهم وموافقهم، بمعنى أن الصحابة يحوز عليهم الاشتباه والخطأ والانحراف والفسق، بل حتى الارتداد عن دين الله تعالى والكفر بالرسالة، وقد وقع هذا فعلاً بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فمنهم من مات مرتدًا و منهم

من عاد إلى الإيمان بعد حروب الردة كما هو مشهور في كتب التاريخ والسير، وإذا جاز على بعض الارتداد، وقد حصل بالفعل وبالواقع، فمن الأولى يحوز عليهم الفسق في السلوك بعد غياب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وانقطاع

الطاقة الدافعة للإيمان وللتقوى بانقطاع الوحي عن الأرض، لأن عوامل الانحراف والفسق لم تغب عن الواقع، وهي الأهواء النفسية والمغربات الخارجية، ودور الشيطان في ربط بعضها بالبعض الآخر.

### الفصل الثالث

#### الصحابة في السنة المطهرة

وفي السنة المطهرة أيضاً أحاديث كثيرة عن الصحابة يروونها عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، في بعضها الثناء والمدح لهم والأمر بحبهم على نحو

العموم، وفي بعضها القدح والذم الشديد والأخبار عن سوء العاقبة للأكثرية الساحقة منهم، وفي بعضها المدح أو القدح لأشخاص معينين منهم.

وإذا أردنا أن نصل إلى حقيقة الأمر وواقع الحال في هذه الأحاديث كان من الضروري النظر فيها من جهة السندي ومن جهة الدلالة ودراسة النسب الموجودة فيما بينها.

لكنا نستعرض فيما يلي طائفة من الروايات الواردة في المسألة، مع غض النظر عن أسانيدها:

روايات المدح والثناء:

فهذه أولاً نصوص روايات وردت في الكتب في مدح الأصحاب عمامة أو المهاجرين والأنصار كلهم أو الأنصار فقط ونحو ذلك:

الرواية الأولى: (اللهم امض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم) (١).

الرواية الثانية: (الأنصار كرسي وعيتي) (٢).

الرواية الثالثة: (في كل دور الأنصار خير) (٣).

الرواية الرابعة: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة) (٤).

الرواية الخامسة: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار) (٥).

الرواية السادسة: قبل بدء القتال في غزوة بدر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) (٦).

الرواية السابعة: (يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): بالثناء الحسن والثناء السيء، أنتم شهداء الله في الأرض) (٧).

الرواية الثامنة: (طوبى لمن رأني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى – يقولها

١) صحيح البخاري ٥: ٨٧ - ٨٨.

٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٢: ٢٨٢.

٣) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٥.

٤) بحار الأنوار ٢٢: ٣١١، عن أمالي ابن الشيخ: ١٦٨.

٥) صحيح البخاري ٥: ١٣٧. وتفسير القرمي ١: ١٧٧.

٦) السيرة النبوية، ابن هشام ٢: ٢٧٩.

٧) تفسير القرآن العظيم ١: ١٩٧.

سبع مرات - لمن لم يرني وآمن بي) (١).

الرواية التاسعة: قال له رجلان: يا رسول الله، أرأيت من رأك فآمن بك وصدقك واتبعك، ماذا له؟ قال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (طوبى له) (٢).

الرواية العاشرة: (لا زال هذا الدين ظاهرا على الأديان كلها ما دام فيكم من رأني) (٣).

الرواية الحادية عشر: (أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي ولأصحابي) (٤).

الرواية الثانية عشر: كان بين خالد بن الوليد وبين أحد المهاجرين الأوائل كلام، فقال خالد له: " تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها "، فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بذلك فقال: (دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو

أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهبا ما بلغتم أعمالهم) (٥).

والظاهر أن الروايتين الأخيرتين ليست عامة في جميع الصحابة السابقين والمتاخرين في الإيمان والجهاد، وإنما هي مختصة في بعض منهم.

فقد جمع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بين حب أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه، فلو كان قصده جميع الصحابة لحدث تناقض لأن بعض الصحابة آذى بضعه من

(١) الخصال ٢: ٣٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٣: ٢٢، عن أمالي ابن الشيخ: ٣٣٢.

(٣) نوادر الرواندي: ١٥.

(٤) نوادر الرواندي: ٢٣.

(٥) مجمع الزوائد ١٠: ١٥.

بعده، وبعضاً منهم كان مبغضاً لأهل بيته، وقد وصل حد البغض إلى قتالهم واستباحة دمائهم، فقد حارب معاوية وعمرو بن العاص وبسر بن أرطأة وآخرون الإمام علياً (عليه السلام) ومن بعده الإمام الحسن (عليه السلام)، فكيف يجتمع حب الإمام علي (عليه السلام) وحب معاوية وأتباعه في قلب واحد، والكلام موجه إلى الصحابة، فكيف يوجه الصحابة إلى حب الصحابة؟

رواية (دعوا لي أصحابي) مختصة أيضاً ببعض الصحابة، لأن الأمر موجه إلى خالد بن الوليد وهو من الصحابة، يأمره بالكف عن صحابي آخر، ويقارن بين أعمال المتقدمين في الإيمان والهجرة والنصرة وأعمال المتأخرین، فالرواية واضحة الدلالة باختصاصها ببعض الصحابة.

وما تقدم من ثناء مشروط بشرط، منها: الإيمان الحقيقي، فلا يكون من في قلبه مرض مراداً قطعاً، والاستقامة على المنهج الإسلامي وحسن العاقبة، لأن بعض الصحابة ارتدوا ثم عادوا إلى الإسلام، وبعضاً منهم منافقون أسرعوا نفاقهم، ولكنه ظهر من خلال أعمالهم وموافقهم كما سيأتي بيانه.

وقد أثني رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على بعض الصحابة بأسمائهم، ووجه الأنظار إلى عدد محدود منهم، فكرر مدحهم والثناء عليهم وجعلهم الصفوة من بين آلاف الصحابة، ولم يساو بين السابقين في الهجرة والإيمان وبين المتأخرین الذين أسلموا خوفاً أو طمعاً.

وفي مقابل الثناء على بعض الصحابة، وردت أحاديث مفتولة منسوبة إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بحق آخرين من الصحابة. وقد كثر تزوير الأحاديث في عهدبني أمية، قال ابن عرفة، المعروف

بنفطويه: (إن أكثر الأحاديث الموضوّعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيامبني أمية، تقرّبا إليهم بما يظنون أنهم يرغّبون به أنوفبني هاشم) (١). وقال أبوالحسن المدائني: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله... أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته)، ثم كتب: (ولا تركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلى وأقر لعيوني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله... فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها... فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة... حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رواها، ولا تدينوا بها) (٢).

**روايات الدم والتقرير:**

شخصية الإنسان تتحكم فيها عوامل ثلاثة: الفكر، والعاطفة، والإرادة، وهي التي تحدد موقف الإنسان وسلوكه في الحياة، فالإيمان بعقيدة معينة وفكرة معينة يجعل الشعور الباطني حرّكة سلوكية في الواقع، ويحول هذه الحرّكة إلى عادة ثابتة متفاعلة مع ما يحدد لها من تعاليم ومفاهيم وقيم، إن تطابقت الإرادة مع أسس الإيمان وقواعده، والإرادة هي الحد الفاصل بين مرحلة الشعور ومرحلة الواقع، وبها تتميز

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ - ٤٦.

شخصية الإنسان في الخارج في قرارها النهائي، وكل هذه العوامل مرتبطة في ظواهرها مع عوامل أخرى كالوراثة والمحیط الاجتماعي التي تؤثر على تلك العوامل تأثيرا إيجابيا أو سلبيا، وبالتالي تؤثر على تحديد شخصية الإنسان، ولذا نرى الصحابة متفاوتين في شخصياتهم، فمنهم من هو في قمة التكامل والسمو، ومنهم من هو في مرادب أدون فأدون، تبعاً لتفاوت درجات الإيمان ودرجات الأنس بالعقيدة والفكير، ودرجات الارتباط بالقدوة الصالحة المحسدة للعقيدة والشريعة في واقعها السلوكي، والتفاعل مع المغريات والمثيرات الخارجية اندفاعاً وإنكماشاً، فبعض الصحابة الذين بقي إيمانهم متزعزعاً قد نكسوا على أعقابهم وارتدوا عن الإسلام، وبعضهم عاد إلى الإيمان بعد ردته خوفاً أو طمعاً أو استسلاماً للأمر الواقع أو قناعة بصحبة الرسالة، وبعضهم لم يقاوم جبهة التصدع في شخصيته، فاستسلم للأهواء واستجاب للمغريات الخارجية كحب الرئاسة وحب المال، فانحرف عن الاستقامة في موقفه وسلوكه العملي، ولذا جاءت الروايات في مقام التحذير من الانحراف والنكوص والتردد، وجاء بعضها في مقام الذم والتقرير لstances سلوکية اتخذها بعض الصحابة في مراحل حياتهم.

من آثار الجاهلية:

في أحد الأيام قام أحد الكفار بتذكير نفر من الصحابة من الأوس والخزرج بقتلاهم في الجاهلية، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار في يوم بعاث، وهو اليوم الذي اقتل فيه الأوس والخزرج، فهاجتهم تلك الأشعار وتنازعوا وتفاخروا، وغضبوا جميعاً، فخرجوا إلى الحرة ومعهم السلاح، وقبل بدء القتال خرج إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

(يا معاشر المسلمين، الله الله، أبدعوی الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم) فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبکوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً (١). فلو لا الإسراع في حل الأزمة لحدث القتال ولبقيت آثاره قائمة، حدث ذلك ورسول الله بين أظهرهم، فكيف يكون الوضع لو لم يكن معهم كما حدث بعد رحيله!

وفي أحد الأماكن ازدحم على الماء أحد المهاجرين وأحد الأنصار، فصرخ أحدهم: يا معاشر المهاجرين، وصرخ الآخر، يا معاشر الأنصار، وكادت تحدث الفتنة لو لا تدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تجاوزها وإشغال

المسلمين بالمسير لمدة يومين (٢).

وقد خالف خالد بن الوليد المهمة التي كلف بها، وهي الدعوة السلمية إلى الإسلام، وقام بقتل جماعة منبني جذيمة ثاراً لعمه المقتول في الجاهلية، وحينما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعمل خالد رفع يديه إلى السماء

ثم قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) (٣).  
الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):  
كثير الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته، وقد حذر (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابة

١) السيرة النبوية، لأبي هشام ٢: ٢٠٤ - ٢٠٥.

٢) السيرة النبوية، لأبي هشام ٣: ٣٠٣. والطبقات الكبرى، لأبي سعد ٢: ٦٥.

٣) صحيح البخاري ٥: ٢٠٣. وتاريخ اليعقوبي ٢: ٦١. وتاريخ الطبرى ٣: ٦٧. والكامل في التاريخ ٢: ٢٥٦.

من الكذب عليه في الحديث والرواية فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):  
لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فلينج النار (١).

(من كذب علي فليتبواً مقعده من النار) (٢).

(من تعمد على كذباً فليتبواً مقعده من النار) (٣).

(من يقل على ما لم أقل فليتبواً مقعده من النار) (٤).

ولتفشى الكذب مطلقاً سواء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو في الشؤون الأخرى وتتابعه، كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحذر من ذلك وينهى عن ممارسته

بعد

وقوعه، وكان يكرر هذا التحذير في أوقات ومناسبات عديدة ليرتدع الكاذبون عن الكذب، فقد قام (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً وقال: (ما يحملكم على أن

تتابعوا على الكذب، كما يتتابع الفراش في النار! كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب، أو إصلاح بين اثنين، أو رجل يحدث أمرأته فيرضيها) (٥).

ووضح الإمام علي (عليه السلام) أصناف نقلة الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وقسامهم إلى أربعة:  
الأول: المتعمد للكذب.

(١) صحيح البخاري ١: ٣٨. وصحیح مسلم ١: ٩.

(٢) صحيح البخاري ١: ٣٨. وسنن ابن ماجة ١: ١٣.

(٣) صحيح البخاري ١: ٣٨. وصحیح مسلم ١: ١٠.

(٤) صحيح البخاري ١: ٣٨. وبنحوه في المستدرك على الصحيحين ١: ١٠٢.

(٥) الدر المنشور ٤: ٣١٧.

الثاني: المتوهم في نقل الحديث، إلا أنه غير معتمد.

الثالث: القليل العلم بالناسخ والمنسوخ في الأوامر والنواهي.

الرابع: الصادق الواضع للحديث في موضعه.

وقال في معرض هذا التقسيم: (إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقها وكذبها... ولقد كذب على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على عهده، حتى قام خطيباً

فقال: من كذب علي متعبداً فليتبوأ مقعده من النار) (١).

فالكذب على عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حقيقة لا تقبل التأويل -

وسيأتي

ذكر مصاديقها في البحوث القادمة - وهو أشد أنواع الكذب تأثيراً في بلبلة المفاهيم والتصورات وخلق الاضطراب في المواقف الخاصة والعامة، لما فيه من إغراء بالقبيح والمنكر، وتحريف للمنهج الإسلامي الثابت في مفاهيمه وقيمه وموازينه.

روایات التحذير من سفك الدماء لأجل الدنيا:

حضر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من التنافس على الدنيا، وخصوصاً في بعض

محاورها وهي السلطة التي تسفك من أجلها الدماء، ويستحل الصحابي دم صحابي مثله من أجل الحصول عليها وعلى المكاسب والمغانم التي تكون وسيلة لوجودها.

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): (... إنني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي،

ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتلوا، فتهلكوا، كما هلك

---

(١) نهج البلاغة: ٣٢٥ - ٣٢٦ الخطبة ٢١٠.

من كان قبلكم) (١).

وأخبر (صلى الله عليه وآلها وسلم) أصحابه بأنهم سيحرسون على الإمارة فقال: (إنكم ستحرسون على الإمارة، وستصير ندامة وحسرة يوم القيمة، فبئس المرضعة، ونعمت الفاطمة) (٢).

وحذر (صلى الله عليه وآلها وسلم) من الرجوع إلى الكفر من بعده، وجعل سفك الدماء علة لهذا الكفر، وقد يكون مقصوده (صلى الله عليه وآلها وسلم) هو الكفر الحقيقي، لأن المؤمن

لا يستحل دم أخيه ما دام مؤمناً بالله تعالى وبالعقاب يوم القيمة، وقد يكون مقصوده هو الانحراف الحقيقي عن الإسلام في الواقع العملي، وفي صدد ذلك التحذير قال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضر ببعضكم رقاب بعض) (٣).

وسيأتي في هذا الشأن تفصيل في الفصل الأخير.  
روايات الارتداد والرجوع على الأعقاب:

وردت روايات مستفيضة عن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أكدها أن النكوص والانقلاب على الأعقاب واقع بعده من قبل الصحابة.

قال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (أنا فرطكم على الحوض، وسانازع رجالاً فأغلب عليهم، فلأقولن رب أصحابي أصحابي) فيقال لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٧٩٦.

(٢) مسنـدـ أـحمدـ ٣: ١٩٩ـ وـ بنـحوـهـ فيـ تحـفـ العـقـولـ ٢٥ـ.

(٣) مسنـدـ أـحمدـ ١: ٦٦٤ـ وـ ٦: ١٩ـ وـ صحيحـ البـخارـيـ ١: ٤١ـ وـ صحيحـ مـسـلمـ ١: ٨٢ـ وـ وـ سـنـنـ اـبـنـ مـاجـةـ ٢: ١٣٠ـ.

بعدك) (١).

والرواية واضحة الدلالة في أن هؤلاء الأصحاب كانوا معروفيين في الناس بالاستقامة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنهم انحرفوا من بعده.

وفي رواية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ليردن على الحوض رجال مما صحبني ورآني، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتمهم اختلعوا دوني، فلأقولن: رب أصحابي أصحابي! فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنكم محشورون إلى الله تعالى... ثم يؤخذ بقوم منكم ذات

الشمال، فأقول: يا رب أصحابي! فيقال لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدین على أعقابهم مذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: \* (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنِي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد \* إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) \* (٣).

والعذاب المذكور في الآية قرينة على ارتكاب الذنب والاتصاف بالفسق والخروج عن العدالة والاستقامة، وإلا لا موجب لعذاب العادل النزيه.

ومن خلال تتبع الروايات نجد أن الانحراف عن نهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

والابتعاد عن المفاهيم والقيم الإسلامية المعبّر عنه بالارتفاع والرجوع

١) مسند أحمد ٢: ٣٥. وبنحوه في صحيح مسلم ٤: ١٨٠ .

٢) مسند أحمد ٦: ٣٣. وبنحوه في صحيح البخاري ٨: ١٤٨ و ٩: ٥٨ .

٣) مسند أحمد ١: ٣٨٩. وبنحوه في: صحيح البخاري ٦: ٦٩ - ٧٠، ١٢٢ . والآية من سورة المائدة ٥: ١١٧ - ١١٨ .

على الأعقاب والتقهقر، قد عم عدداً كبيراً من الصحابة الذين صحبوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صحبة ليست بالقصيرة، وقد عبر (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن كثرتهم بالقول:

(بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدهك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم... قال: إنهم ارتدوا بعدهك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) (١).

والروايات المتقدمة تنص على أن المتسائل هو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والمجيب غيره، وهنالك روايات تنص على أن المجيب هو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مباشرة حيث يخاطب بعض أصحابه في يوم القيمة بإثبات

انحرافهم عن الاستقامة بعد رحيله من الدنيا، كما هو في الرواية عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

أنه قال: (ما بال أقوام يقولون: إن رحمي لا ينفع، بل والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإنني أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئت قام رجال، فقال هذا: يا رسول الله، أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، فأقول قد عرفتكم ولكنكم أحذتم بعدي ورجعتم القهقري) (٢).

وتنص الروايات على أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتبرء منهم ولا يتدخل في

إنقاذهم مما هم فيه عند ورودهم الحوض، ففي رواية يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

(.. فأقول أصحابي أصحابي! فقيل: إنك لا تدربي ما أحدثوا بعدهك،

١) صحيح البخاري ٨: ١٥١.

٢) المستدرك على الصحيحين ٤: ٧٤ - ٧٥.

فأقول: بعدها.. - أو - سحقا سحقا لمن بدل بعدي) (١).  
وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يحذر من الانحراف بعد رحيله، ويجعل ملاك

التقييم هو حسن أو سوء العاقبة، ففي رواية أنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال لشهداء أحد:

(هؤلاء أشهد عليهم) فقال أبو بكر: (السنا يا رسول الله بإخوانهم؟  
أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا) فقال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (بلى،  
ولكن لا أدرى ما تحدثون بعدي) (٢).

وقد أكد بعض الصحابة حقيقة الانحراف عن نهج رسول الله (صلى الله عليه وآلها  
وسلم) بعد

رحيله، ومن ذلك قول أبي بن كعب: (ما زالت هذه الأمة مكبوبة على  
وجهها منذ فقدوا نبيهم) (٣).

وقوله: (ألا هلك أهل العقدة، والله ما آسي عليهم، إنما آسي على من  
يضلون من الناس) (٤).

---

١) مسند أحمد ٣: ٤١٠. وبنحوه في صحيح مسلم ٤: ١٧٩٣.

٢) موظاً مالك ٢: ٤٦٢ دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٠.

٣) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٤.

٤) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٤.

## الفصل الرابع الصحابة في التاريخ

للحصابة الذين آمنوا بالله ورسوله حقا دور كبير في انتصار الإسلام واستمرار وجوده في قيادة البشرية، فهم الطليعة التي واكبـت مسيرة الرسول منذ انطلاقها، فقد آمن به وصدقه عدد من الصحابة في مرحلة من أشد المراحل عليه، حيث تكالبت عليه قوى الكفر والشرك والطغيان وطوقوا دعوته من كل جانب، فلم يجد له ناصرا إلا الصفوة من الصحابة، حيث خرجوـا عن المأثور من العقائد والأعراف والتقاليد الجاهلية وانضـوا تحت لواء الإسلام وقيادة رسول الله (صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلـمـ) دون أن

ينتظروا جزاءـا دنيـوـيا أو عـرـضا من أعراضـا الدـنـيـا، آمنـوا بـالـلـه وـبـرـسـوـلـه إيمـانا حـقـيقـيا في وقت كان الإـسـلام ضـعـيفـا تحـيـطـه الأـعـدـاء من كـلـ حـدـبـ وـصـوبـ، لا يـجـدـونـ نـاصـرـا لـهـمـ وـلـاـ مـعـيـناـ يـسـانـدـهـمـ وـيـدـفـعـ عـنـهـمـ إـلـاـ اللـهـ، وـلـاـ يـجـدـونـ القـوـةـ التـيـ يـوـاجـهـوـنـ فـيـهاـ الطـغـيـانـ سـوـىـ قـوـةـ الإـيمـانـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ. فـتـجـاـوزـواـ الـوـاقـعـ الـجـاهـلـيـ وـلـمـ يـعـبـئـوـ بـماـ حـوـلـهـمـ مـنـ قـبـائـلـ وـشـعـوبـ وـأـمـمـ غـارـقةـ فـيـ الجـهـلـ وـالـانـحـرـافـ وـالـرـذـيلـةـ، وـكـانـ الـأـمـلـ بـالـنـصـرـ يـرـاـودـ أـفـكـارـهـمـ وـمـشـاعـرـهـمـ لـيـغـيـرـوـاـ الـأـرـضـ وـمـنـ فـيـهاـ، وـيـجـعـلـوـاـ الإـسـلامـ فـيـ مـوـقـعـهـ الـرـيـادـيـ فـيـ حـيـاةـ الـبـشـرـيـةـ، وـتـحـمـلـوـاـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ أـصـنـافـ الـعـذـابـ.

وكان من تعذيب المشركين إياهم (يضربون أحدهم ويحيعونه ويعطشونه حتى لا يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به) (١).  
وكان الصحابة الأوائل يتقاسمون العذاب والأذى بإيمان واطمئنان بلا تضعضع ولا تراجع ولا هزيمة روحية، ولم يزدتهم العذاب إلا إصرارا على الإيمان ثباتا على طريق الهدى، وكان شعارهم (أحد أحد)، وحينما اشتد الأذى والعذاب أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا فرارا بدينهم.

واشتد الأذى والعذاب على من بقي من الصحابة في مكة إلى أن شاء الله عز وجل أن يأذن لهم بالنصر المؤزر بعد حصارهم في شعب أبي طالب (رضي الله عنه) ثلاث سنوات، ثم امتدت الدعوة الإسلامية - بعد ذلك - وانضوى تحت لوائها عدد من أهل المدينة، فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة على السمع والطاعة وعلى أن يؤمنوا له الحماية اللازمـة كما يحـامون عن أبنائهم ونسائهم، وعلى حرب من يحاربه مهما كان انتـماـه (٢).  
وعاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على إيواء المهاجرين ونصرتهم، فأذن (صلى الله عليه وآله وسلم) بهجرة من بقي في مكة إلى المدينة، وعلى أثر ذلك تعرض الكثير منهم إلى عنت المشركين واضطهادهم (٣)، وما أن وصلوا إلى يثرب حتى آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل مهاجر أخا من

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٣٤٣. والسيرـة النبوـية، لابـن كـثـير ١: ٤٩٥.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٢: ٨٤ - ٨٨. والسيرـة النبوـية، لابـن كـثـير ٢: ١٩٥. وإعلام الورى بأعلام الهدى: ٧٠.

(٣) السيرة النبوية، لابن كثير ٢: ٢١٥.

الأنصار، فآواه وآزره وشاركه في داره (١)، وقد تحقق الإخاء بأفضل صورة في تاريخ البشرية، واستجاب له المهاجرون والأنصار عن قناعة وتسليم وأطمئنان، حتى وصل الأخاء إلى قمته، فكان الأنصار يطلق إحدى زوجتيه (فيغير أخاه المهاجر في إحداهما) (٢). وكان المهاجرون والأنصار (يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثاً مقدماً على القرابة) (٣).

وقد حقق ذلك الإخاء دوراً في إنجاح المسيرة الإسلامية والتفرغ إلى العمل الجاد لدعوة الناس إلى الإسلام، والجهاد في سبيل الله، فتكافدوا في حمل أعباء الرسالة، وتبلغها.

ولم يمض على استقرار النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) والمهاجرين إلا أشهر معدودة حتى دعاهم الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) إلى الجهاد، فكانت فرصة جيدة لمعرفة الذين آمنوا

حقاً من الذين في قلوبهم مرض ومن المنافقين الذين ظاهروا بالإسلام خوفاً، فاستجاب الذين آمنوا وترسخ الإيمان في قلوبهم فخرجوا في غزوات لملاحقة قوافل المشركين، وكانوا لا يستريحون من أعباء الغزوة حتى يشاركون في غزوة أخرى قاطعين المسافات الطويلة استجابة لله ورسوله.

فقاوموا واجتازوا كل الصعوبات والأخطار والمشاكل والمعوقات الواقعة في طريقهم، واستمروا في المسيرة التكاملية متعالين على هوى

---

١) السيرة النبوية، لأبي كثیر: ٢٠٤ .

٢) تاريخ المدينة المنورة: ١: ٤٨٨ .

٣) الفصول في سيرة الرسول، لأبي كثیر: ١٢٠ .

النفس وميلها واتجاهاتها المادية. وقطعوا أواصر القربي مع المشركين، فخرجوإلى بدر يقاتلون آباءهم وأبناءهم ولا يزيدتهم ذلك إلا ثباتا على الإيمان والجهاد، حتى أدمهم الله تعالى بملائكة مسومين (١).

وهكذا استمر الصحابة في الجهاد وأرخصوا دماءهم في سبيل الدعوة والانقياد لرسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)، لا يكلون ولا يملون، وكانوا في عمل دؤوب

وجهاد مستمر لا يجدون طعم الراحة والهنا إلا بإنجاز التكاليف الإلهية، فشاركوا في غزوة أحد، فكانت هذه الواقعة إحدى الواقع الحساسة التي عرف فيها المؤمنون الحقيقيون من غيرهم.

وكذلك غزوة الخندق حيث قعد الذين لاذوا بالفرار في أحد، عن المواجهة مع قائد جيوش المشركين.

ولقد تكرر منهم المخالفـة لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) حتى أخذ منهم البيعة

تحت الشجرة على الموت وعدم الفرار (٢).

وهكذا بدأت المفارقات تظهر شيئاً فشيئاً، وحقائق الأشخاص تنكشف يوماً فيوماً:

الفواصل السلوكية الكاشفة عن الحقائق الباطنية:

لم يكن الصحابة على مستوى واحد من الإيمان والإخلاص والاستقامة، وإنما هم متفاوتون في كل ذلك، والصحبة وإن كانت شرفاً لهم جميعاً إلا أنها لا تعني التزكية والتطهير ما لم يكن الصحابي مؤهلاً لها

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٢: ٢٨٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٣٢٨.

ومستعداً للارقاء والسمو والتكميل، والصحابي بما هو بشر يحمل في جوانحه عناصر الخير والشر، وإن التزكية والتطهير تابعة للإرادة، فالإنسان بطبيعه مخير في اختيار موقفه في الحياة، وتلعب الوراثة - متفاعلة مع المحيط التربوي والاجتماعي - دوراً أساسياً في تكوين الشخصية الإنسانية من حيث درجة الاقتراب والابتعاد عن المنهج الإسلامي في الواقع.

وإذا كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تأثير في التوجيه والتربية والإصلاح والتغيير،

فإن كثيراً من الصحابة لم يصحبوا إلا قليلاً بعد ما مرت عليهم السنين العديدة وهم في الصف المعادي له، وكان بعضهم أحقر الناس على قتله، والقضاء على رسالته، وبعضهم أسلم خوفاً أو طمعاً، وبعضهم بقي منافقاً مستترًا في نفاقه لا يعلمه إلا الله تعالى، أو معلوماً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خافياً على غيره.

فلا غرابة أن نجد بعضهم مبتعداً عن المنهج الإسلامي في تصوراته وموافقه العملية لعدم انصهاره بالعقيدة والقيم الجديدة، وعدم تحكمه لها في التصورات والعواطف والمواقف، وخصوصاً في العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الصحابة، فإن بعضهم قطعُوا صرداً المودة والأخاء مع البعض الآخر، وتعامل البعض بالتنابز بالكفر والفسق والنفاق مع البعض الآخر، ووصلت الفوائل بينهما إلى حد البراءة والاقتتال.

وقد ظهرت بوادر ذلك في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنها كانت في طور الخفاء والمحدودية ثم توسيع وطفحت بارزة للعيان بعد عهده (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ولا غرابة في ذلك وقد حذرهم (صلى الله عليه وآله وسلم) من التنافس على الدنيا والقتال فيما بينهم.

ولكن المهم أن ترى أن الذين فروا في أحد، وقعدوا في الخندق، وخالفوا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) في غير موضع، أخذوا يجاهرون بالمخالفة مع

النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في قراراته المصيرية الحاسمة: التخلف عن جيش أسامة والاعتراض على إمرته: أمر رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أغلب المهاجرين والأنصار بالتوجه إلى غزو الروم

تحت إمرة أسامة بن زيد، وكان على رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وآخرون (١)، فطعنوا في إمارته وتناقلوا حتى قام بهم رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)

خطيباً وقال: (إن طعنوا في إمارته، فقد طعنتم في إماراة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة) (٢).

وتناول كثير من الصحابة ولم يلتحقوا بأسامة، وعصوا أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) حتى أغضبوه فأمرهم ثانية وثالثة حتى لعن المتخلفين وقال (صلى الله عليه وآلها وسلم): (جهزوا جيشاً لأسامة، لعن الله من تخلف عنه) (٣).

وفي رواية أنه قال: (جهزوا جيشاً لأسامة، أنفذوا جيشاً لأسامة، أرسلوا بعثة لأسامة، لعن الله من تخلف عنه) (٤).

وعند قرب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) عاد أسامة ومعه الجيش يتظرون

المصيره (صلى الله عليه وآلها وسلم) وحينما علم بهم أمر أسامة بالخروج وتعجيل النفوذ وجعل

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٧٩. وآفة أصحاب الحديث: ١٢. والكامل في التاريخ ٢: ٣١٧. وبنحوه في الطبقات الكبرى، لأبي سعد ٢: ١٩٠. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١١٢.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني ١: ٢٩. وشرح نهج البلاغة ٦: ٥٢.

(٤) آفة أصحاب الحديث: ١٢.

يقول: (أنفدوها بعث أسامه) ويكرر ذلك (١). ولقد كان اعتراضهم على إمرته ثم اعتذارهم عن الخروج معه بمرض النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) محاولة منهم للتغطية على المرض الكامن في قلوبهم!! اتهام رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بالهجر: عند قرب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أراد أن يكتب للصحابـة كتاباً يرسم لهم منهجاً لحياتهم كـي لا يضلـوا من بعده، حيث ربط (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بين الكتاب وبين عدم الضلال، وهذا يعني إن كتابة الكتاب من أهم وصـاياه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ومن أساسيات القضايا التي يجب مراعاتها بعد وفاته، وبدلاً من الاستجابة له، والعمل على طبق وصـيته للوصول إلى تمام الهدـى والرشـاد، والـحـيلـولة دون الضلال عصـوا أوامرـه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ولم يكتـفـوا بالعصـيان بل اتهمـوا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بالـهـجر كما تـنصـ الرواية أنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال: (إـتـونـي بـكتـابـ أـكـتبـ كتابـاـ لـنـ تـضـلـواـ بـعـدـ أـبـداـ)، فـتـناـزـعواـ، وـلـاـ يـنـبـغـيـ عـنـدـ نـبـيـ تـناـزـعـ، فـقـالـواـ: (هـجـرـ رسولـ اللهـ)، فـقـالـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ): (دـعـونـيـ فـالـذـيـ أـنـاـ فـيـهـ خـيـرـ مـاـ تـدـعـونـنـيـ إـلـيـهـ) (٢).

وفي رواية: قالـواـ: ما شـأنـهـ؟ أـهـجـرـ! اـسـتـفـهـمـوهـ، فـذـهـبـواـ (يـعـيـدـونـ عـلـيـهـ) القـولـ (٣).

وذكر المؤـرـخـونـ فيـ روـاـيـاتـ أـخـرىـ اسمـ عمرـ بنـ الخطـابـ، وـأـنـهـ هو

(١) شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ ١: ١٦٠.

(٢) صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ٤: ٨٥ـ. وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ ٣: ١٢٥٨ـ. وـتـارـيـخـ الطـبـرـيـ ٣: ١٩٣ـ. وـالـكـامـلـ فـيـ التـارـيـخـ ٢: ٣٢٠ـ. وـتـارـيـخـ اـبـنـ الـورـدـيـ ١: ١٢٩ـ.

(٣) تـارـيـخـ الطـبـرـيـ ٣: ١٩٣ـ. وـتـارـيـخـ اـبـنـ الـورـدـيـ ١: ١٢٩ـ. وـالـكـامـلـ فـيـ التـارـيـخـ ٣: ٣٢٠ـ.

الرَّادُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (١).

وَيَرِى ابْنُ أَبِي الْحَدِيدَ أَنَّ الْحَدِيدَ الْمَذْكُورَ: (اتَّفَقَ الْمُحَدِّثُونَ كَافَةً عَلَى رِوَايَتِهِ) (٢).

ويفهم من الروايات أن الذين اتهموا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالهجر وجهها لوجه

أو الذين أيدوا قول عمر بن الخطاب هم من كبار الصحابة ومن الذين صاحبوه فترة طويلة، ومنهم آباء زوجاته والمقربون إليه، وهذا القول ينسجم مع الأعراف من أن الذين يحضرؤن الميت هم من هذا الصنف دون بقية الصحابة الذين لم يصحبوه إلا أياماً أو ساعات معدودة، إضافة إلى ذلك أن موته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان في المدينة ويستبعد أن يكون الأعراب أو

الذين ارتدوا بعد وفاته كانوا من ضمن الحاضرين.

ويفهم أيضاً من الرواية أن جل الصحابة كانوا متخلفين عن بعث أسامة وخصوصاً الصحابي عمر بن الخطاب.

ومخالفة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) واتهامه بالهجر لم يكن في قضية هامشية أو

سطحية، وإنما كان في أهم القضايا التي فيها النجاة من الضلالية الأبدية.

وهكذا، فقد تمكنا من خلال هذه القضايا من معرفة حقيقة أمر أولئك

الصحابة الذين رافقوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في بدء دعوته وفي قلوبهم مرض

كما في القرآن الكريم.

فدراسة التاريخ والنظر في سير الأحداث من أحسن الطرق لمعرفة

(١) صحيح البخاري ١: ٣٩ . و صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩ . والمملل والنحل ١: ٢٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ٥١ .

حال الصحابة، وللتوصل إلى معنى الآيات القرآنية ومعنى الحديث المخرج في كتابي البخاري ومسلم وغيرهما الصريح في ارتداد الأصحاب إلا مثل "همل النعم" !!

هذا خلاصة ما كان في عهد رسول الله (صلي الله عليه وآلها وسلم).

معرفة الصحابة من خلال الحوادث بعد الرسول (صلي الله عليه وآلها وسلم):

وأما ما كان من الصحابة بعد عهد رسول الله (صلي الله عليه وآلها وسلم) فتلك أحداث السقيفة وما تلتها من حوادث وما ترتب عليها من آثار ...

لقد ثبت وتحقق في الكتب المؤلفة في مسألة الإمامة والولاية بعد رسول الله (صلي الله عليه وآلها وسلم): أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي (صلي الله عليه وآلها وسلم) بإبلاغ الأمة بأن

ال الخليفة والإمام من بعده بلا فصل هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا ما كان من أولى اهتمامات النبي منذ بعثته وحتى الساعات الأخيرة من حياته الكريمة، وقد استدل العلماء في كتب الإمامة بالكثير من الآيات والأحاديث الصحيحة بل المتواترة عند الفريقيين.

فمن ذلك: النص الذي بدأ منذ وقت مبكر وبالتحديد في السنة الثالثة للهجرة حيث نزول آية الانذار وقصة حديث الدار الذي قال فيه (صلي الله عليه وآلها وسلم)

مشيرا إلى الإمام علي (عليه السلام): (إن هذا أخي ووصيي وخليفتني فيكم، فاسمعوا له وأطعوه) (١).

وصرح النبي (صلي الله عليه وآلها وسلم) في أكثر من مناسبة قائلاً: (إن عليا مني، وأنا منه،

---

(١) تاريخ الطبرى ٣: ٢١٨ - ٢١٩ . وتفسير الخازن ٣: ٣٧١ .

وهو ولی کل مؤمن بعدي) (۱). وجاء قوله تعالى: \* (إنما ولیکم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة ویؤتون الزکاۃ وهم راکعون) \* (۲) لیؤکد ویرسخ ولاية وخلافة أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) بعد النبی (صلی الله علیه وآلہ وسلم) ويقطع الطريق أمام المشککین بهذه المنزلة الرفيعة.

وعند قصة الغدیر ونزول آیة التبلیغ (۳) وآیة إكمال الدین (۴) في حجۃ الوداع لم يعد ثمة عذر لمعتذر في خلافة أمیر المؤمنین علی بن أبي طالب (علیه السلام) بعد رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم)، حيث جمع رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) الناس في منتصف النهار والحر شديد وخطب خطبة طويلة جاء فيها: (من كنت مولاه فهذا مولاه) (۵)، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانحدل من خذله، وانصر من نصره) (۶).

لکن القوم تجاوزوا کل تلکم النصوص، حتى تركوا جنازة رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) على الأرض وراحوا إلى سقیفةبني ساعدة يتنازعون الأمر من

۱) سنن الترمذی ۵: ۵۹۴. والتاج الجامع للأصول ۳: ۳۳۵.

۲) سورۃ المائدۃ ۵: ۵۵ وقد نزلت هذه الآیة في الإمام علی (علیه السلام). راجع الكشاف ۱: ۶۴۹ وأسباب

النزول، للواحدی: ۱۳۴.

۳) الآیة ۶۷ من سورۃ المائدۃ، قال الواحدی في أسباب النزویل: ۱۳۵ نزلت في غدیر خم.

۴) الآیة ۳ من سورۃ المائدۃ، وقد نزلت في غدیر خم يوم الثامن عشر من ذی الحجه، راجع الإتقان للسيوطی ۱: ۷۵. وأسباب النزویل للواحدی: ۱۳۵ وقد قال (صلی الله علیه وآلہ وسلم) عند نزولها: (الحمد لله

على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى رب رسالتي وبالولاية لعلی بعدي) راجع مناقب أمیر المؤمنین (علیه السلام) للحافظ محمد بن سلیمان القاضی الكوفی ۱: ۱۱۹.

۵) سنن الترمذی ۵: ۵۹۱. والتاج الجامع للأصول ۳: ۳۳۳.

۶) مسند أحمد ۴: ۲۸۱ و ۳۶۸. وسنن ابن ماجة المقدمة ۱: باب ۱۱. وتفسیر ابن کثیر ۱: ۲۳۳ - ۳۶۰ . والبداية والنهاية ۷: ۳۶۱ - ۳۶۱.

بعده، فكان ما كان مما لسنا الآن بصدق ذكره، وتمحضت الأحداث عن البيعة لأبي بكر بن أبي قحافة، ثم أكره الممتنعون عن البيعة - وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأعلام بنى هاشم ورجال من المهاجرين والأنصار - على أن يبايعوه، في قضايا يطول شرحها.  
أما الزهراء الطاهرة بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم تبايعه أبداً، ولما

استولى

أبو بكر على فدك وغير فدك مما كان يتعلق بها، ذهبت إلى أبي بكر وطالبه بحقوقها، فلم يعطها شيئاً، فعادت وهي غضبى عليه وعلى عمر ابن الخطاب.

وقال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة (عليها السلام) (إانا قد أغضبناها) وحينما دخلا عليها قالت: (... ألم تسمعا رسول الله يقول: " رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي .. فإننيأشهد الله وملائكته أنكما أسطخطمانى وما أرضيتمانى ، ولئن لقيت النبي لأشكونكمـا إليه) وكانت فاطمة (عليها السلام) تقول: (والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها) (١). وبقيت سلام الله عليها مهاجرة لأبي بكر حتى فارقت الدنيا (فهجرته فاطمة فلم تكلمه... حتى ماتت، فدفنتها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر) (٢).

ولقد كان من المتخلفين عن بيعة أبي بكر: مالك بن نويرة وعشيرته، فسيير أبو بكر إليهم خالد بن الوليد، فأغار عليهم وقتل مالكا وجماعة من

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٨ . وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، للذهبي: ٢١ . وبنحوه في: شرح نهج البلاغة ٦ : ٥٠ .

قومه وسبى نسائهم، وتزوج بامرأة مالك من ليلة قتله، في قضية معروفة مفصلة في كتب التاريخ، تعد من أكبر ما طعن به أبو بكر بعد تصديه للأمر. وحينما قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة وتزوج امرأته، بلغ ذلك عمر بن الخطاب، فتكلم في خالد عند أبي بكر فأكثر وقال: (عدوا على أمرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته)! وحينما عاد خالد قام إليه عمر وقال: (قتلت امرءاً مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك) (١).

وفي معركة اليرموك كان أبو سفيان ومشيخة من قريش على تل لا يقاتلون، فإذا كانت الكرة للروم، قالوا: (إيه بني الأصفر)! وإذا كانت الكرة للمسلمين، قالوا: (ويح بني الأصفر)! فلما هزم الله تعالى الروم سمع الزبير بما كانوا يقولون، فقال: (أبوا إلا ضعنا، لنحن خير لهم من الروم) (٢).

وعند قرب وفاة أبي بكر دخل عليه عبد الرحمن بن عوف، فقال له أبو بكر: (إنني وليت أمركم خيراً لكم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك، يريده أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت.. وأنتم أول ضال

بالناس غداً، فتصدوا لهم عن الطريق يميناً وشمالاً...) (٣).

وقال أبو بكر أيضاً: (فأما الثلاثة اللاتي وددت أنني تركتهن، فوددت أنني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد غلقوه على الحرب..

(١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٨٠ . والكامل في التاريخ ٢: ٣٥٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٤١٤ .

(٣) تاريخ الطبرى ٣: ٤٣٠ . وبنحوها في تاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٧ .

وأما اللاتي تركتهن، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرا كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شرا إلا أعنان عليه...).<sup>(١)</sup> وأوصى أبو بكر بالأمر إلى عمر بن الخطاب بالرغم من اعتراض أعلام الصحابة، محتاجاً بكونه خير الناس، فدل ذلك على أن ولايته لم تكن بنص من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا برضاء المسلمين. وقد كان في عهده من تعطيل الحدود الشرعية وتغيير الأحكام الإلهية ما ليس هنا موضع ذكره، ومن شاء فليراجع الكتب المؤلفة في ذلك، ويكتفينا أن نعلم أن عمر هو الذي رمى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجر وحال دون كتابته الوصية كما تقدم.

وكان عمر هو الذي طرح فكرة تعيين الخليفة بالشوري، وقد جاء ذلك تفادياً لأن يباع المسلمين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ بلغه أن جماعة من أكابر الصحابة يقولون: لو مات عمر لباعتنا علي بن أبي طالب (٢). ولكنه - حيث كان يريد عثمان بن عفان وبني أمية للخلافة - عين ستة أشخاص للشوري، ومن غير مشورة من المسلمين في تعيينهم، وحدد لهم حدوداً لا ينتهي الأمر بمقتضها إلا إلى عثمان.

وبعد تعيين عمر للستة من أهل الشوري أخبرهم عن أنفسهم فقال: (أما أنت يا زبير فوقع لقس (٣)، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان،

١) تاريخ الطبرى ٣: ٤٣٠ - ٤٣١ . و تاريخ العيقوبى ٢: ١٣٧ . والعقد الفريد ٥: ٢١ .

٢) مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني، إرشاد الساري في شرح البخاري / للقسطلاني .

٣) الوعق: الصحر المترم، واللقس: من لا يستقيم على وجهه .

ويوماً شيطان.. من يكون للناس يوم تكون شيطانا؟ ومن يكون يوم تغضب؟) ثم أقبل على طلحة - وكان له مبغضا - فقال له: أقول أم أسك؟ قال: (قل، فإنك لا تقول من الخير شيئا) فقال عمر: (أما إني أعرفك منذ أصيبيت أصبعك يوم أحد والبأو - أي الكبر - الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساخطا عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب) (١).

وأوصى عمر صهيب الرومي بقتل كل من يصر على مخالفة الأجماع في الشورى المتكونة من الستة، وقال له: (.. فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدح رأسه - أو اضرب رأسه بالسيف - وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم.. فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلو الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس) (٢).

وفي اجتماع الشورى قال علي بن أبي طالب لعبد الرحمن بن عوف: (أعطي موثقاً لتوثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذارحم..)، لكن عبد الرحمن اتبع الهوى ومال إلى عثمان، ففي أمر الشورى يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة الشقشيقية: (فصبرت على طول المدة، وشدة المحنـة، حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنه أحدـهم، فيما لله وللشورى متى اعتـرض الـريب في مع الأولـ منهم، حتى صرـت أقرـن إلى هذه النظـائر! لكنـي أـسفـت إـذ أـسفـوا، وطـرت إـذ طـارـوا، فـصـغا رـجلـ منهم

---

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٤: ٢٢٩.

لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن...) (١). فالذى صغا لضغنه هو طلحة، إذ وهب حقه لعثمان لأنحرافه عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، والذي مال لصهره هو عبد الرحمن، مال إلى عثمان، لأن زوجة عبد الرحمن - وهي أم كلثوم بنت عقبة - كانت أخت عثمان من أمه.

واشترط عبد الرحمن على الإمام علي (عليه السلام) إن رشحه للخلافة أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر، فلم يوافق الإمام علي (عليه السلام) على الشرط الأخير، ووافق عثمان على ذلك فرشحه عبد الرحمن للخلافة فقال الإمام علي (عليه السلام): (ليس هذا أول يوم تظاهرت فينا) (٢). وبعد تمام البيعة قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: (يا أبا محمد، قد أصبت إذ بايعدت عثمان!) وقال لعثمان: (لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا)، فقال عبد الرحمن: (كذبت يا أعزور، لو بايعدت غيره لبايعدته، ولقلت هذه المقالة) (٣).

ودخل أبو سفيان على عثمان وقال: (يا بنى أمية، تلقفوها تلتف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيمة) (٤).

وحينما بدل كثيرا من الأحكام، وتصرف في أموال المسلمين في غير حلها، وقرب إليه الفجرة الفسقة وخاصة من بنى أمية وجعلهم خواصا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٧١. وشرح نهج البلاغة ٩: ٥٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٤: ٢٣٤. وبنحوه في: شرح نهج البلاغة ٩: ٥٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ٥٣ - ٥٤. وأنساب الأشراف ١: ١٢ - ١٣.

وولاة له، كمروان بن الحكم والوليد بن عقبة، كثُر الطعن عليه من قبل الصحابة والتابعين (١).

وكان الوليد بن عقبة من ولادة عثمان وقد اشتهر بالفسق وشربه للخمر فقد شرب الخمر وهو على رأس جيش متوجه إلى الروم، فأراد بعض المسلمين إقامة الحد عليه، فقال حذيفة: (أتحدون أميركم وقد دنوتكم من عدوكم...) (٢).

وقال ابن حجر العسقلاني عنه (قصة صلاته الناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة ومخرجة، قصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً مخرجة في الصحيحين) (٣).

فحينما أكثر المسلمون في الوليد عزله عثمان وجده الحد (٤).

وطعن جماعة من الصحابة على عثمان، لأنَّه آثر أقاربه الأموال والهدايا، فكان أبو ذر الغفاري يقول: (والله لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيى، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقىٰ، وصالحاً مستأثراً عليه) (٥).

وقال عثمان ذات مرة لأبي ذر: (لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب... أنت

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٣٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٦: ٣٤١.

(٣) الإصابة ٦: ٣٢٢.

(٤) تاريخ الطبرى ٤: ٢٧٧. و مختصر تاريخ دمشق ٢٦: ٣٣٦ . وبنحوه في: شرح نهج البلاغة ٨: ١٢٠.

(٥) شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥.

الذي تزعم أنا نقول: إن يد الله مغلولة...) فقال أبو ذر: (لو كنتم لا تزعمون لأنفقتكم مال الله على عباده، ولكنني أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يقول:

(إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله حولاً، ودين الله دخلاً) فقال عثمان: (وilyك يا أبا ذر! أتكذب على رسول الله)..  
قال أبو ذر: (أحدثكم أنني سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ثم تتهمنوني!

ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)) (١).

هذا وقد قال الصادق الأمين (صلى الله عليه وآلها وسلم) في حق أبي ذر: (ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر). والأدهى من ذلك هو طرد أبي ذر من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) على يد طريد رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وابن طريده مروان بن الحكم (٢).

واشتد الطعن على عثمان، ففي ذات مرة صلى عثمان بالناس، فلما كبر قالت عائشة: (يا أيها الناس... تركتم أمر الله وخالفتم عهده)، ثم صمتت وتكلمت حفصة بمثل ذلك، فلما أتم عثمان الصلاة أقبل على الناس، وقال: (إن هاتين لفتانتان، يحل لي سبهما، وأننا بأصلهما عالم) (٣).  
وتجاوز الطعن إلى التصریح بکفر عثمان من قبل إحدى نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وهي عائشة حيث كانت تفتي بقتله وتقول: (اقتلوه نعثلا فقد کفر) (٤).

١) شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥ - ٥٦.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧١ - ١٧٣ . و تاريخ المدينة ٣: ١٠٣٤ . والرياض النضرة ٣: ٨٣ .

٣) شرح نهج البلاغة ٩: ٥ .

٤) تاريخ الطبری ٤: ٤٥٩ . والکامل في التاريخ ٣: ٢٠٦ .

وكثر الطعن عليه (ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد) (١)، وكان طلحة بن عبيد الله من ضمن الطاعنين على عثمان حتى اجتمع عليه بعض الطاعنين، فأمسك بمفاتيح بيت المال والناس حوله، فلما سمع الإمام علي (عليه السلام) بالخبر قام بكسر باب بيت المال وتوزيع ما فيه، فتفرق الجمع عن طلحة وانصرفوا عنه، وسمع عثمان بذلك فأبدى رضاه وسروه، وجاء طلحة ودخل على عثمان، فقال عثمان: (والله ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة) (٢).

وكتب جمع من أهل المدينة من (الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلموا إليه، فإن دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أفسده خليفتكم فأقيموه) (٣).

وحينما اشتدت الأزمة بين عثمان والطاعنين عليه دخل عليه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال له: (أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذريرأي في دينه ولا نفسه! وأيم الله إني لأراه يورنك ولا يصدرك...) (٤).

وتدخل الإمام علي (عليه السلام) لتهيئة الأزمة وقال لطلحة: (أنشدك الله إلا ردت الناس عن عثمان!)، فرفض طلحة نصيحة الإمام علي (عليه السلام) وقال:

---

(١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ١٦٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ١٦٨.

(٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٢. والكتاب في التاريخ ٣: ١٦٥ - ١٦٦.

(لا والله حتى تعطيني بنو أمية الحق من أنفسها) (١).  
 وكلم الإمام علي (عليه السلام) القادمين من الأنصار ووعدهم بإصلاح الأوضاع  
 من قبل عثمان، فخرجوا من المدينة، وفي طريقهم إلى مصر أمسكوا  
 بغلام عثمان وعنده كتاب مختوم بختام عثمان يأمر فيه والي مصر بقتلهم،  
 فجاءوا بالكتاب إلى عثمان فأنكر كتابته له، وقيل: إن مروان قد كتبه باسم  
 عثمان، فقالوا له: (ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد  
 استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق، وإن كنت صادقا فقد  
 استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك وخبط  
 بطانتك.. فاخلع نفسك منه كما خلعت الله) فقال: (لا أنزع قميصا ألبستيه  
 الله، ولكنني أتوب وأنزع)، فقالوا: (لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا،  
 ولكن رأيناك تتوب ثم تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلوك أو  
 تلحق أرواحنا بالله تعالى) (٢).

فحوصر عثمان من قبل المسلمين أربعين يوما ثم قتلوه، وكان  
 أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) منهم من حرض على المعارضة له،  
 وعلى رأسهم عائشة وحفصة وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وطلحة والزبير  
 وعمرو بن العاص. ومنهم من حاصره ولم يقدم على قتله. ومنهم من  
 اشترك في قتله أيضا كعبد الرحمن بن عديس، وكان أمير القادمين لقتله،  
 وهو من بايع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تحت الشجرة (٣). ومنهم من  
 كان هواه في

---

١) الكامل في التاريخ ٣: ١٨٣.

٢) المصدر السابق ٣: ١٩٦.

٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٧. وتاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٥.

قتل عثمان، كمعاوية بن أبي سفيان (١) ليتخذ قتله ذريعة للوصول إلى الخلافة، حيث تربص به وأقر الجيش الذي بعثه لنصرته (٢).

وكان ابن عباس يرى أن مروان هو المسؤول عن قتل عثمان، فكان يخاطبه بالقول: (يا عدو الله وطريد رسول الله والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعايته بما حملهم على قطع أوداجه..). (٣)

هذا، وقد اتخاذ دمه ذريعة للتمرد على خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) سواء من قبل المحرضين على عثمان أو من المتربيين بقتله، في ظرف مضطرب لا استقرار فيه، وبدلاً من انتظار استقامة الظروف وهدوء الأوضاع الصاحبة، خرج بعض الصحابة، وأحدثوا فتنة بين المسلمين متمردين فيها على الخلافة الشرعية (٤).

### حرب الجمل:

فخرجت عائشة - ومعها طلحة والزبير ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية - إلى البصرة وأعلنوا الطلب بدم عثمان.

وفي أول المسير لقي عبد بن أم كلاب عائشة فأخبرته بالطلب بدم عثمان فأجابها: (فوالله أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعشلا فقد كفر)، فقالت: (إنهم استتابوه ثم قتلوا، وقد قلت وقالوا،

١) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٣.

٢) الكامل في التاريخ ٣: ١٧٠.

٣) شرح نهج البلاغة ٦: ٢٩٩.

٤) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٦.

وقولي الأخير خير من قولي الأول) (١).

وفي البصرة تصالح طلحة والزبير مع عثمان بن حنيف على عدم الاقتتال، إلا أنهم هجموا عليه ليلاً واقتادوه أسيراً، وحينما سألوه عائشة عن أمره قالت: (قتلواه) فقالت لها امرأة: (نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) فأمرت بحبسه بعد أن ضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته (٢).

و قبل بدء القتال قال الزبير: (ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي أقتله، فلم يجبه أحد)، فقال: (إن هذه لفتنة التي كنا نحدث عنها) فقال له مولاهم: (أتسميهما فتنة وتقاتل فيها؟!) قال: (ويلك! إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الأمر، فإني لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر) (٣).

وكتب الإمام علي (عليه السلام) إلى طلحة والزبير: (... فإن كنتما بايعتماني طائعين، فارجعوا وتوبوا إلى الله من قريب...) فارجعوا إليها الشیخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمر كما العار من قبل أن يتجمع العار والنار) (٤).

وفي بداية المعركة قال الإمام علي (عليه السلام) للزبير: (أنشدك الله، أسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم لي)، قال: (نعم، ولم أذكر إلا في موقفي هذا) ثم اعتزل القتال، ولكنه رجع إليه بعد ما هاجه ابنه

(١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٥٩ . والكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٦ . والكامل في التاريخ ٣: ٢١٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٧٦ . والكامل في التاريخ ٣: ٢٢٠ .

(٤) نهج البلاغة: ٤٤٦ - ٤٤٥ الكتاب ٥٤ .

عبد الله، فأعتقد مولاه كفاره عن يمينه، ثم قاتل (١).  
وكان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: (ما زال الزبير رجلاً منا أهل  
البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله) (٢).

وفي أثناء المعركة قام مروان بن الحكم بقتل طلحة بن عبيد الله مبرراً  
قتله بالثار من قتلة عثمان (٣) على الرغم من خروجهما معاً للطلب بدم  
عثمان بقتالهم للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وانتهت المعركة بمقتل عشرة آلاف من الطرفين (٤) وقد تنبأ الإمام  
علي (عليه السلام) بمصير أهل الجمل، فقال قبل بدء القتال: (والله إن راكبة الجمل  
لا تصعد عقبة ولا تنزل منها إلا إلى معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها  
ومن معها متالف الهلكة) (٥).

وكان عدد المشاركون من الصحابة إلى جنوب الإمام علي (عليه السلام) هو العدد  
الراجح حيث كان معه ثمانمائة من الأنصار وأربعين مائة من شهد بيعة  
الرضوان (٦) لإيمانهم بوجوب القتال معه.

(١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٠٠. والكامل في التاريخ ٣: ٢٣٩. وتهذيب تاريخ دمشق ٥: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٠٢.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٧٠. وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، للذهبي: ٤٨٦. وشرح  
نهج البلاغة ٩: ٣٦.

(٤) تاريخ الطبرى ٤: ٥٣٩. وقيل: عشرون ألفاً. والعقد الفريد ٥: ٧٤.

(٥) المعيار والموازنة: ٥٣.

(٦) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين: ٤٨٤.

حرب صفين:

عزل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أغلب ولاة عثمان بن عفان، وحينما أشار عليه المغيرة بن شعبة بإبقاء معاوية قال (عليه السلام): (لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدنيا في أمري) (١)، فكان يرى إبقاء معاوية في ولاته مداهنة في الدين، ولذا عزله بعد أن يئس من رجوعه إلى الطاعة.

وقد كتب إليه عدة كتب يدعوه فيها إلى الطاعة، ويبيّن له غيه ومساؤه، جاء في أحدها قوله (عليه السلام): (وأردت جيلاً من الناس كثيراً خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجاوزوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم.. فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك..) (٢).

وكتب (عليه السلام) إليه أيضاً: (سبحان الله! ما أشد لزومك للأهواء المبتدةعة... إما إكثارك الحجاج على عثمان وقتلته، فإنه إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له) (٣)، فقد بين له أنه اتخذ دم عثمان وسيلة لينتصر بها، حيث إنه لم ينصره في حياته.

وحينما أراد معاوية استمالة عمرو بن العاص إلى جانبه استشار الأخير ابنيه عبد الله ومحمداً، فقال له عبد الله: (.. فإنه إنما تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار)، وقال ابنه محمد: (بادر هذا الأمر) وقال له مولاه ورдан: (اعتبرت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: علي معه آخرة بلا دنيا، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة، وليس في

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠٦ الكتاب: ٣١.

(٣) نهج البلاغة: ٤١٠ الكتاب: ٣٧.

الدنيا عوض من الآخرة).

وقال ابنه عبد الله أيضاً: (بَالْشِيْخُ عَلَى عَقْبِيْهِ، وَبَاعَ دِيْنَهُ بِدِنَيَاْهُ) (١).  
وكتب الإمام علي (عليه السلام) إلى ابن العاص كتاباً جاء فيه: (فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ  
دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا اَمْرَئَ ظَاهِرَ غَيْرِهِ، مَهْتَوْكَ سَرَرَهُ... فَأَذْهَبْتَ دِنَيَاكَ  
وَآخْرَتْكَ...). (٢).

وبعد خدعة رفع المصاحف خطب الإمام علي (عليه السلام) أصحابه قائلاً:  
(عِبَادَ اللَّهِ، امْضُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَصَدَقَكُمْ وَقَاتَلُ عَدُوكُمْ، فَإِنْ مَعَاوِيَةً وَعُمَراً  
وَابْنَ أَبِي مَعِيطٍ وَحَبِيبِها وَابْنَ أَبِي سَرْحٍ وَالضَّحَاكَ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ  
وَلَا قُرْآنٍ، أَنَا أَعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، قَدْ صَحَّبْتُهُمْ أَطْفَالًا ثُمَّ رِجَالًا، فَكَانُوا شَرٌّ  
أَطْفَالٌ وَشَرٌّ رِجَالٌ، وَيَحْكُمُ اللَّهُ مَا رَفَعُوهَا إِلَّا خَدِيْعَةً وَوَهْنًا وَمَكِيدَةً... فَإِنِّي  
إِنَّمَا أَفَاتَلَهُمْ لِيَدِيْنُوا لِحُكْمِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْا اللَّهَ فِيمَا أَمْرَهُمْ، وَنَسَوا  
عَهْدَهُ، وَنَبَذُوا كِتَابَهُ) (٣).

وكتب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية: (... فَاحْذَرْ يَوْمًا يُغَتَّبُ فِيهِ مِنْ  
أَحَمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمَ مِنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيَادَتِهِ فَلَمْ يَجُذِّبْهُ، وَقَدْ  
دَعَوْتُنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكُنَا أَجَبْنَا  
الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ) (٤).

وانتهت المعركة بالتحكيم، وقد كان الإمام علي (عليه السلام) يحذر معاوية من

١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٤ - ١٨٥.

٢) نهج البلاغة: ٤١١ الكتاب ٣٩.

٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣١٦ - ٣١٧. وبنحوه في المنتظم ٥: ١٢١.

٤) نهج البلاغة: ٤٢٣ الكتاب ٤٨.

القتال وسفك الدماء فلم يستحب وكان جوابه لسفراء الإمام علي (عليه السلام): (... ليس بيني وبينكم إلا السيف) (١).  
وكان عدد القتلى من الطرفين سبعين ألفا (٢) وقتل مع الإمام علي (عليه السلام) خمسة وعشرون صحابيا، منهم عمر بن ياسر قتله أبو العادية يسار بن سبع السلمي وهو من الصحابة الذين شهدوا بيعة الرضوان (٣).  
وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار (رضي الله عنه): (تقتلك الفئة الباغية) (٤) والفئة الباغية التي قتلت عمار كان يقودها معاوية وعمرو بن العاص.  
ما بعد صفين:

انتهت معركة صفين بالتحكيم، وانتهى التحكيم بخدعنة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري، فقال الأشعري لابن العاص: (غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب) فقال له ابن العاص: (إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا) (٥).

وبما أن الحكم كان نابعا من الهوى والابتعاد عن الهدى تبرء الإمام علي منها ونسب إليهما نبذ حكم القرآن ومخالفته فقال (عليه السلام): (ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء

١) مروج الذهب ٢: ٣٧٧.

٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٢. والمنتظم ٥: ١٢٠.

٣) الفصل في الأهواء والمملل والنحل ٤: ١٦١.

٤) صحيح البخاري ١: ١٩٤. وصحیح مسلم ٤: ٢٢٣٥ / ٧٠ و ٧٢ و ٧٣. ومستند أحمد ٢: ١٦ و ١٦٤.

٥) نهاية الإرب ٢٠: ١٥٩.

ظهورهما، وأحيا ما أمات القرآن، واتبع كل منهما هواه بغير هدى من الله، فحكمها بغير حجة بينة ولا سنة ماضية، واحتلها في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منها ورسوله وصالح المؤمنين) (١).

و حول الحكيمين قال عبد الله بن عمر: (أنظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة، إلى رجل لا يبالي ما صنع، وآخر ضعيفا) (٢).

ولم يكتف معاوية بالبغى على إمام زمانه وقتل في هذا البغي آلاف المسلمين وخيرية الصحابة، بل استمر في بغيه بالاعتداء على الأبراء الذين يوالون الإمام علي (عليه السلام) باعتباره الخليفة الشرعي، وكان يبعث الغارات على المدن التابعة للدولة الإسلامية التي يحكمها الإمام علي (عليه السلام) فيبعث بسر بن أرطأة - وهو من الصحابة - في ثلاثة آلاف إلى الحجاز وإلى المدينة فدخلها فخطب في الناس وهددهم وقال: (والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله) فلما سمع الصحابي جابر بن عبد الله انطلق إلى أم المؤمنين أم سلمة وقال لها: (ماذا ترين؟ أني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلاله)، وكان ذلك الجيش يقتل (من أبي أن يقر بالحكومة) (٣).

ثم مضى بسر بن أرطأة إلى اليمن فقتل جماعة من أهلها، ومنهم طفلان صغيران لعبد الله بن العباس (٤).

١) تاريخ الطبرى ٥: ٧٧ . والكامل في التاريخ ٣: ٣٣٨ .

٢) نهاية الأرب ٢٠: ١٥٩ .

٣) تاريخ الطبرى ٥: ١٣٩ .

٤) تاريخ الطبرى ٥: ١٤٠ .

وكثر الحديث حول دهاء معاوية فأجاب الإمام علي (عليه السلام) قائلاً: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولو لا كراهة الغدر لكونت من أدهى الناس...)(١).

الفوائل السلوكية في عهد معاوية بن أبي سفيان: ثم إن الإمام (عليه السلام) قد أوصى بالإمامية من بعده - بأمر من الله ورسوله - إلى ولده الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) وقد بايعه أيضاً أهل الكوفة وبعض الأنصار، وعلى الرغم من شرعية خلافته إلا أن معاوية لم يستجب إلى بيته وتمرد على شرعيته وأعلن العصيان والبغى، وحينما رأى الإمام الحسن (عليه السلام) أنه لا يستطيع إخراج التمرد، وأنه لا يملك القوة الالزمة في الاستمرار في الخلافة صالح معاوية (٢) واشترط الإمام الحسن (عليه السلام) شروطاً على معاوية ولكنه لم يف بها (٣).

وكان سلوك معاوية بعد استيلائه على السلطة المخالفة لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد اعترض الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية في ذلك قائلاً: (إن الخلافة لمن سار بسيرة رسول الله... وليس الخلافة لمن عمل بالجور وعطّل الحدود) (٤).

وفي مجلس معاوية والحسن حاضر شتم جماعة - وهم من الصحابة!! -

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٥ . والكامل في التاريخ ٣: ٤٠٤ . وتاريخ الخميس ٢: ٢٩٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥ .

(٤) ربيع الأول ٢: ٨٣٧ .

الإمام عليا (عليه السلام) وذكروه بسوء، فأحاب الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بالقول:

(أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً أفتة، وسوء رأي عرضت به، وخلقها سيئاً ثبت عليه، وبغياناً علينا، عداوة منك لمحمد وأهله...) (١).

وأغلظ القول لعمرو بن العاص وقال له: (... فأنت عدوبني هاشم في الجاهلية والإسلام... وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سررت عليه الدنيا ناراً... ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه...).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) للوليد بن عقبة: (... فوالله ما ألموك على بغض علي، وقد جلدت ثمانين في الخمر... وأنت الذي سماه الله الفاسق، وسمى علياً المؤمن) (٢).

وقال (عليه السلام) للمغيرة بن شعبة: (... وإن حد الله في الزنا لثبت عليك) (٣). وقال الإمام الحسن (عليه السلام) لمروان: (لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبك على لسان نبيه، فقال: لعن الله الحكم وما ولد) (٤).

أوامر معاوية في شتم الإمام علي (عليه السلام):  
بعد استقرار الأمر لمعاوية، أمر ولاته بلعنه وشتم الإمام علي بن أبي

١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٨٨.

٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٩٢.

٣) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٩٤. يشير الإمام (عليه السلام) إلى قيام البينة على المغيرة بالزنا في زمن عمر، لكن عمر عطل الحد ولم يجره في حقه، انظر: تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٦، الأغاني ٦ : ٩٩، شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢٤٥.

٤) البداية والنهاية ٨ : ٢٥٩.

طالب (عليه السلام) من على منابر المسلمين.  
وأوصى معاوية المغيرة بن شعبة (لا تترك شتم علي وذمه)، فقال له المغيرة: (قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذمني، وستبلو فتحمد أو تذم)، فكان المغيرة (لا يدع شتم علي والوقوع فيه) (١).  
وكان ينال في خطبه من علي، وأقام خطباء ينالون منه (٢).  
وكان حجر بن عدي يرد اللعن على المغيرة (٣).

ونتيجة لاستمرار شتم الإمام علي (عليه السلام) وبشهادة كتب أم المؤمنين أم سلمة إلى معاوية: (إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأناأشهد أن الله أحبه ورسوله) (٤).  
وروي أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: (... إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا) (٥).  
كما وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على (رواية أخبار قبيحة في الإمام علي (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا... منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم.

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٣١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٠.

(٤) العقد الفريد ٥: ١١٥. وبنحوه في مسند أحمد ٧: ٤٥٥. والمعجم الكبير ٢٣: ٣٢٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٧.

وروي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب: (مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في حق علي\*) (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) \* (١) فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثة مائة ألف درهم فلم يقبل، فبذل له أربع مائة ألف درهم فقبل، وروى ذلك).

وقام معاوية بقتل أخيار الصحابة الموالين للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومنهم حجر بن عدي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) (٢).

اعتراض الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) على معاوية: ارتكب معاوية أ عملاً مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآلها وسلم)، ووجد

في ذلك اعتراضاً من قبل الصحابة، ومن أعماله ادعاؤه زياد بن سمية واستلهاقه بأبي سفيان خلافاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) (٣). واعتراض الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) على مجمل أعماله، فقد جاء في كتابه (عليه السلام) إلى معاوية بعد أن وصفه وأصحابه بالقاسطين الملحدين حزب الظالمين وأولياء الشياطين: (أليست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم ويستعظمون البدع... أولىست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) الذي أبلته العبادة... أولىست

المدعي زياد بن سمية..؟! فترك سنته رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وخالفت أمره

متعبداً، واتبع هواك مكذباً بغير هدى من الله.. فلا أعلم فتنة على الأمة

(١) سورة البقرة: ٢٠٤ وما بعدها.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٤٧٣ . وتاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٣١ .

(٣) سير أعلام النبلاء: ٣: ٤٩٥ .

أعظم من ولا ينك عليها.. وأخذك بالبيعة لابنك غلام سفيه يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ولا أعلمك إلا خسرت نفسك، وأوْبَقْت دينك، وأكلت أمانتك، وغضشت رعيتك، وتبوأت مقعدك من النار، فبعدا للقوم الظالمين) (١).

ففي هذا الكتاب بين الإمام الحسين (عليه السلام) لمعاوية خلافه لسنة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وابتعاده عن هدى الله تعالى، وجعله في صف الظالمين، ليتبواً مقعده من النار.

ما جرى بين الصحابة في بيعة يزيد:

شجع المغيرة بن شعبة معاوية على تولية يزيد العهد من بعده حينما علم أن معاوية سيعزله عن إمرة الكوفة، وحينما رجع من معاوية قال: (... فوالله لقد وضع رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء) (٢).

وفي روایة أنه قال: (لقد وضع رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقا لا يرتفق أبدا) (٣).

وحينما أراد مروان أن يدعو إلى بيعة يزيد، قال له عبد الرحمن بن أبي بكر: (كذبت والله يا مروان، وكذب معاوية! ما الخيار أردتما لأمة محمد...) فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: (والذي قال لوالديه أَف لَكُمَا فَسِمِعْتَ عَائِشَةَ مَقَالَتْهُ فَقَالَتْ: (يا مروان... أَنْتَ الْقَائِلُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ

---

(١) أنساب الأشراف ١: ١٢٠ - ١٢٢ . وبنحوه في الإمامة والسياسة ١: ١٨١ .

(٢) تاريخ البیقوی ٢: ٢٢٠ .

(٣) الكامل في التاریخ ٣: ٥٠٤ .

إنه نزل فيه القرآن؟ كذبت! والله ما هو به.. ولكنك أنت فضض من لعنة  
نبي الله) (١).

ودخل معاوية على عائشة فأخبرها عن موقفه من الإمام الحسين  
وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فقال: (لأقتلنهم إن لم  
يبيعوا) (٢).

وهكذا استباح دم الصحابة لرفضهم بيعة ابنه يزيد.

---

١) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٦ - ٥٠٧ .

٢) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٩ .

## الفصل الخامس الآراء في تقييم الصحابة

اختلف العلماء والمؤرخون في تقييم الصحابة من حيث درجات قربهم وبعدهم عن العقيدة والشريعة الإسلامية، فمن العلماء من ذهب إلى أن جميع الصحابة قد جسدوا المفاهيم والقيم الإسلامية في سلوكهم وموافقهم إلى آخر حياتهم، ومنهم من ذهب إلى ذلك مقيداً بظهور الفتنة، فالداخلون في الفتنة صنفوا إلى صنفين، فمنهم العدول، ومنهم غير العدول، ومن العلماء من اختار أو سط الآراء بعد تتبعهم للسيرة الذاتية للصحابة في عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبعده، فكانوا عدة أصناف فمنهم العدول، ومنهم غير العدول، ومنهم المنافقون الذين انكشفت حقيقتهم، ومنافقون أسرعوا النفاق فلم يعلموا إلا القليل من بقية الصحابة. ذكر الأمدي هذه الآراء ورجح الرأي الأول قال: (اتفق الجمهور من الأئمة على عدالة الصحابة). وقال قوم: إن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية. ومنهم من قال: إنهم لم يزالوا عدولاً إلى حين ما وقع من الاختلاف

والفتنه فيما بينهم، وبعد ذلك فلا بد من البحث في العدالة عن الراوي أو الشاهد منهم إذا لم يكن ظاهر العدالة.

ومنهم من قال: بأن كل من قاتل عليا عالما منهم، فهو فاسق مردود الرواية والشهادة لخروجهم على الإمام الحق. والمحترر: إنما هو مذهب الجمهور من الأئمة (١).

الرأي الأول: عدالة جميع الصحابة:

وهو رأي جمهور العلماء من العامة المتفقين على عدالة جميع الصحابة، قال ابن حجر العسقلاني: (اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتداة) (٢).

واستشهد بما قاله الخطيب البغدادي في ذلك: (... وإنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم... لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم) (٣).

واستثنى ابن الأثير الصحابة من الجرح والتعديل فقال: (والصحابة يشاركون سائر الرواية في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح، لأن الله عز وجل رسوله زكياتهم وعدلاهم، وذلك مشهور لا تحتاج لذكره) (٤).

---

(١) الإحکام في أصول الأحكام ٢ : ٣٢٠.

(٢) الإصابة ١ : ٦.

(٣) الكفاية في علم الرواية: ٤٦.

(٤) أسد الغابة ١ : ١٠.

ويرى الشوكياني (استواء الكل في العدالة) (١).  
ونسب محمد الفتوحي المعروف بابن النجاشي إلى ابن الصلاح وغيره  
القول بأن: (الأمة مجتمعة على تعديل جميع الصحابة، ولا يعتد بخلاف  
من خالفهم) (٢).

الأدلة على عدالة جميع الصحابة:

١ - الآيات القرآنية: استدل القائلون بعدالة جميع الصحابة ببعض  
الآيات القرآنية، وقد سبق أن ذكرناها في الفصل الثاني، وأثبتنا أنها لا تدل  
على عدالة جميع الصحابة فرداً فرداً، وإنما تدل على مدح الله وثنائه  
على الصحابة بما هم مجموع، ولا يسري هذا المدح والثناء إلى الأفراد،  
وإضافة إلى ذلك أن المدح والثناء أو الرضى من قبل الله تعالى مشروط  
بالوفاء بالعهد والاستمرار على الاستقامة وحسن العاقبة، كما تقدم.  
والآيات القرآنية لا تقتصر على المدح والثناء، فهناك آيات وردت في  
ذم بعض الصحابة لما ارتكبوه من أعمال ومواقف محلة بالعدالة، وقد  
ذكرنا طرفاً من ذلك في محله.

٢ - الروايات: استدل بعض القائلين بعدالة جميع الصحابة بعدد من  
الروايات ومنها:

الرواية الأولى: نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أنه قال: (إن أصحابي  
بمنزلة

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكياني: ٧٠ مطبعة البابي الحلبي - مصر ١٣٥٨ .٥

(٢) شرح الكوكب المنير ٢: ٤٧٣ .

النجم في السماء، فأيتها أخذتم به اهتديتم) (١). وهذه الرواية غير تامة السند عند كثير من الفقهاء والعلماء بما فيهم بعض المؤمنين بعدالة جميع الصحابة. قال أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي: (وهذا مذهب ضعيف عند جماعة من أهل العلم، وقد رفضه أكثر الفقهاء وأهل النظر) (٢). وذكر ابن حزم الأندلسي أسماء الرواية الضعاف والكذابين والمجهولين في أسانيده هذه الرواية، ثم أبرز رأيه من خلال تلك المقدمات فقال: (فقد ظهر أن هذه الرواية لا ثبت أصلاً، وبلا شك أنها مكذوبة... فمن المحال أن يأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باتباع كل قائل من الصحابة، وفيهم من يحلل

الشئ وغيرها من يحرمه، ولو كان ذلك لكان بيع الخمر حلالاً اقتداء بسمرة بن جندب) (٣).

وضعف ابن قيم الجوزية إسناد الرواية ثم ناقش الدلالة فقال: (إن هذا يوجب عليكم تقليد الجميع، فإن سوغتم هذا، فلا تتحتجوا لقول على قول ومذهب على مذهب... ولا تنكروا على من خالف مذهبكم واتبع قول أحدthem، وإن لم تسوغوه فأنتم أول مبطل لهذا الحديث ومخالف له) (٤).

وفي معرض تقييم الذهبي لجعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال: (ومن

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ٣٠٠ مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤١٥.

(٣) الإحکام في أصول الأحكام: ٦: ٢٤٤.

(٤) إعلام الموقعين: ٢: ٢٣٤ دار الجيل - بيروت.

بلاياه.. عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم): (أصحابـي كالنجوم من اقتدى بشئ منها اهتدى) (١).

ومن الذين ضعفوا إسناد الرواية الإسبراني (٢)، وأبو حيان الأندلسي وتلميذه تاج الدين الحنفي (٣) واعتبروها مكذوبة على رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم).

ومنهم: (أحمد بن حنبل، البزار، ابن عدي، الدارقطني، ابن حزم، البيهقي، ابن عبد البر، ابن عساكر، ابن الجوزي، ابن دحية، الذهبي، الزين العراقي، ابن حجر العسقلاني، السخاوي، السيوطي، المتنقي، القاري) (٤).

ويمكن مناقشة الرواية من حيث الدلالة ومن حيث نتائج الأخذ بها من الناحية العملية والواقعية.

فالأمر بالاقتداء موجه إلى الصحابة، فكيف يأمر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الصحابة بالاقتداء بالصحابة وهذا يعني أنه أمر للصحابة بالاقتداء بأنفسهم، وهذا محال.

ولو فرضنا صحته، فإنه مختص بالاقتداء ببعض الصحابة لا جميعهم، وقد وردت روايات مستفيضة يأمر (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الصحابة بالاقتداء بأهل البيت (عليهم السلام) كما ورد في رواية التمسك بالثقلين وهمما الكتاب والعترة

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي ٤١٣ : ١ دار المعرفة - بيروت.

(٢) التيسير في الدين: ١٧٩.

(٣) البحر المحيط ٥٢٨ : ٥ دار الفكر - بيروت ١٤٠٣ ط ٢.

(٤) الإمامـة في أـهم الكـتب الكلـامية، للـسيد عـلي المـيلـاني: ٤٦١ - ٥١٤.

الطاولة (١).

والأعراف المتبعه عند العرب آنذاك إنهم لا يهتدون بأي نجم كان، وإنما كانوا يهتدون بنجوم معينة ومحددة في مسیرهم، والإطلاق الذي في الحديث لا يتناسب مع علومهم ومعارفهم الدارجة آنذاك. ولو تبعنا سيرة الصحابة وأخذنا بها لوقعنا في تناقض حتمي، كما تراه في قول ابن حزم وابن القيم، وقد تکفل الفصل السابق بعرض الكثير من أسئلة التناقض.

وإذا قيل: إن المراد هو الاقتداء ببعض المواقف دون بعض، فلا بد من مخصص لهذا الاقتداء، ولا مخصص له، لأن الرواية مطلقة. فالرواية إذن لا يصح الاستدلال بها على عدالة جميع الصحابة، فهي غير تامة السند ولا الدلالة.

الرواية الثانية: نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أنه قال: (إن الله اختارني،

واختار أصحابي فجعلهم أصحابي، وجعلهم أنصارـي، وإنـه سيجيء في آخر الزمان قوم يتقصـوهم، ألا فـلا تـناـكـوـهـمـ، أـلا فـلا تـنـكـحـوـهـمـ، أـلا فـلا تـصـلـوـهـمـ، أـلا فـلا تـصـلـوـهـمـ، عـلـيـهـمـ حلـتـ اللـعـنـةـ) (٢).

والرواية غير تامة السنـدـ، فلا يـصـحـ نـسـبـتـهاـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)، وفيـ

(١) صحيح مسلم : ٤ ١٨٧٣ و ١٨٧٤ . وسنن الترمذى : ٥ ٦٦٢ / ٣٧٨٦ . ومسند أحمد : ٣ ١٤ : ١٧ ، ٤ ٣٦٧ و ٣٧١ و ٥ ١٨٢ و ١٨٩ . وسنن الدارمى : ٢ ٤٣٢ . ومصایح السنة : ٤ ١٨٥ / ٤٨٠٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٤٨ ووردت الرواية في تعابير مختلفة.

هذا الصدد قال الدكتور عبد الكريم النملة (١): (فهذا حديث لا يصلح الاستدلال به، لأن فيه بشير بن عبيد الله، وهو غير معروف).

قال ابن حبان: والحديث باطل لا أصل له، نقل ذلك أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات) (٢).

وقال الدكتور عطيه بن عتيق الزهراني: (هذا الحديث لا يصح) (٣). ومن ناحية الواقع نرى أن الذي ابتدأ بانتقاد الصحابة أو سبهم - كما في رواية الطبراني والهيثمي - هم بعض الصحابة، وهذا يستلزم التناقض، فاللعننة تكون شاملة لبعض الصحابة الذين انتقصوا وسبوا غيرهم من الصحابة، وتشمل من لعنهم أيضاً، وهذا مما لا يصح التمسك بدلاته. ووردت روایات أخرى في استدلال القائلين بعذالة جميع الصحابة، وهي غير تامة السند والدلالة معاً، أو أحدهما، أو تدل على عدالة بعض الصحابة دون الجميع كرواية: (خير أمتي قرني...) و (لا تسربوا أصحابي) (٤) وغيرهما.

وذهب أصحاب هذا الرأي إلى نسبة الزندة لمن لا يرى عدالة جميع الصحابة، قال أبو زرعة: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندنا حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

(١) أستاذ بكلية الشريعة في الرياض.

(٢) مخالفه الصحابي للحديث النبوی الشریف، عبد الكريم النملة: ٨٣.

(٣) السنة، لأبي بكر الخالل ١: ٤٨٣ في الهاشم دار الرأیة - الرياض ١٤١٥ - ط ٢.

(٤) الكفاية في علم الروایة: ٤٧.

وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة (١).

ونحن لا نتفق مع أبي زرعة وغيره من القائلين بهذا الرأي من عدة جهات:

الجهة الأولى: إن الذي أدى إلينا القرآن والسنة بعض الصحابة وليس جميعهم.

الجهة الثانية: ليس لجرح الشهود دخالة في إبطال الكتاب والسنة، وإنما يكون غالباً مصحوباً بالتشتت والاحتياط في الدين، من أجل الوصول إلى العقيدة الحقة والشريعة الحقة، ليكون السلوك مطابقاً للكتاب والسنة.

الجهة الثالثة: إن الجرح لا يشمل جميع الصحابة بل بعضهم.

الجهة الرابعة: إن بعض الصحابة استتروا على نفاقهم فلم يظفروه، فمن العقل والمنطق السليم أن نبحث عن عدالتهم.

الجهة الخامسة: إن بعض الصحابة انتقصوا وسبوا وجرحوا غيرهم من الصحابة، وخصوصاً الصحابة الذين انتقصوا وسبوا وجرحوا الإمام علياً (عليه السلام)، وهو الأقرب إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وكان على رأس الصحابة الذين أدوا إلينا القرآن والسنة، وهو الأعلم بكتاب الله وسنة رسوله كما تظافرت على ذلك الروايات (٢).

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢: ٣٣٨. ومناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي: ٨٢. وحلية الأولياء: ١: ١٩٧. وكفاية الطالب: ٢٥. وتذكرة الخواص: ٢٥. والمستدرك على الصحاحين: ٣: ١٢٧. ومختصر تاريخ دمشق: ١٨: ١٧. ومجمع الزوائد: ٩: ١١٤. والصواعق المحرقة: ١٨٩.

فهل يحق لنا جرهم؟ طبقاً لهذا الرأي، فإذا قيل يحق فقد انحرمت القاعدة، وإذا قيل لا يحق جرهم فكيف كان لهم الحق في جرح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟  
تقيدات المازري:

حاول المازري التخفيف من الافراط في تقييم الصحابة، فلم ينسب الجميع إلى العدالة، وإنما وضع قيوداً لتقليل عدد الصحابة وتقيد الاطلاق في العدالة، فقال: (لسنا نعني بقولنا: الصحابة عدول، كل من رأه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً أو زاره لماماً أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب، وإنما

نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (١).

وهذه المحاولة هي تراجع موضوعي عن الأصل الذي تبناء الجمهورية، وهي قائمة على أساس موضوعية من خلال تتبع حياة الصحابة وسيرتهم الذاتية وما نزل فيهم من آيات وما قيل فيهم من روایات.

الرأي الثاني: ثبوت العدالة في الواقع الخارجي:

يتبنى هذا الرأي ثبوت العدالة في الواقع الخارجي لجميع الصحابة، فلا يوجد من بينهم من ارتكب ما يؤدي إلى فسقه، قال الغزالى: (والذى عليه سلف الأمة وجمahir الحلف: أن عدالتهم معلومة.. إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت،

---

(١) الإصابة ١ : ٧.

فلا حاجة لهم إلى التعديل) (١).

ولا دليل على هذا الرأي، والواقع الخارجي مليء بالأدلة والشواهد النافية لعدالة بعض أو كثير من الصحابة.

وإذا تبعنا سيرة الصحابة نجدهم لا يتبنون هذا الرأي، بل يثبتون في الحكم على بعضهم البعض جرحاً أو تعديلاً، وكان بعضهم يجوز الفسق على نفسه أو على غيره، والأمثلة على ذلك مستفيضة. وقد تكرر بحثه والإشارة إليه مراراً.

عدم التكفل في البحث عن عدالة الصحابة:

ذهب جماعة إلى تحويل المعصية على الصحابة، ولكنهم توقفوا في البحث عن عدالتهم وطلب التزكية لهم، ونسب هذا الرأي إلى ابن الأنباري وغيره، حيث قالوا: (وليس المراد بكونهم عدواً: العصمة واستحالة المعصية عليهم، إنما المراد أن لا تتكلف البحث عن عدالتهم ولا طلب التزكية لهم) (٢).

وهذا الرأي غير تام، فلو جوزنا على الصحابة المعصية، فإن هذا يستلزم البحث عن عدالتهم وطلب التزكية لهم، لمعرفة العامل منهم والفاشق، وهذه المعرفة ضرورية لتحديد معالم الدين في التفسير وفي السنة، وتشخيص صحة الرواية بلحاظ رواتها، وهي ضرورية في كتابة التاريخ وأخذ العبر والتجارب منه، وقد ألفت الكتب في الجرح والتعديل

---

(١) المستصفى، للغزالى ٢: ٢٥٧ - المدينة المنورة ١٤١٣ .٥

(٢) شرح الكوكب المنير ٢: ٤٧٧ في الهاشم هذا القول لابن الأنباري وغيره.

في جميع مراحل المسيرة الإسلامية، وهو أمر مأثور إلى يومنا هذا.  
الرأي الثالث: عدالة جميع الصحابة قبل دخولهم في الفتنة:  
ذهب البعض إلى عدالة جميع الصحابة إلى حين وقوع الاختلاف  
والفتن فيما بينهم، فلا بد من البحث في العدالة عن الصحابي إذا لم يكن  
ظاهر العدالة (١)، وذهب المعتزلة إلى عدالة الجميع باستثناء من قاتل  
الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو فاسق مردود الشهادة (٢).

ورأي المعتزلة غير مقبول عند الجمhour الذين يرون عدالة جميع  
الصحابة حتى من قاتل الإمام علي (عليه السلام)، قال ابن كثير: (وقول المعتزلة:  
الصحابة عدوٌ إلا من قاتل علياً، قول باطل مرذول ومردود، وقد ثبت  
في صحيح البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: عن ابن بنته  
الحسن بن

علي... (إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فتتین عظيمتين من  
المسلمين)، وظهر مصدق ذلك في نزول الحسن لمعاوية عن الأمر...  
وسمي عام الجماعة... فسمى الجميع مسلمين...) (٣).

وهذا الوجه لا يصح الاستدلال به على عدالة جميع الصحابة، وغاية  
ما يدل عليه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمي الفتتین بال المسلمين،  
وإطلاق اسم

المسلم على فرد أو جماعة لا يستفاد منه العدالة، فليس كل مسلم عادلاً،  
لأن التسمية تطلق على من شهد الشهادتين وإن كان فاسقاً أو كان منافقاً  
مستتراً، بل إن كلمة الإسلام تطلق حتى على مرتكب الكبائر ما عدا الشرك

---

١) الإحکام في أصول الأحكام ٢ : ٣٢٠ .

٢) المصدر السابق نفسه.

٣) الباعث الحيث في شرح علوم الحديث: ١٧٧ .

بالله تعالى.

ومثل ذلك ما قاله محمد بن إسحاق، كما حكى عنه البيهقي: (وكل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمارته فهو باع)، وأضاف البيهقي: (علي هذا عهدت مشايخنا وبه قال ابن إدريس الشافعي... ثم لم يخرج من خرج عليه بيعيه عن الإسلام) (١).

وغاية ما يستدل بهذا القول: إن الباغين على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يخرجوا عن الإسلام، وعدم الخروج عن الإسلام لا يستلزم العدالة.

#### الرأي الرابع: تأويل موقف الصحابة:

إن عدالة جميع الصحابة لم تثبت حسب موازين الجرح والتعديل، فقد ارتكب بعضهم أفعالاً ظاهرة الانحراف والفسق، ومن أجل الحفاظ على نظرية عدالة الجميع، ذهب جمهور من علماء العامة إلى ضرورة تأويل مواقفهم بما ينسجم مع القول بالعدالة.

قال ابن حجر الهيثمي: (إعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم... والواجب أن يتمنى لهم أحسن التأويلات، وأصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك) (٢).

ولهذا أولوا ما ارتكبه بعض الصحابة من معاصي وإن كانت من الكبائر،

---

(١) الإعتقاد على مذهب السلف، للبيهقي: ٢١٩ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ ط ٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٢٥.

بأن ما ارتكبوه قد صدر منهم عن اجتهاد وتأويل، ومن ذلك بغي معاوية وعمرو بن العاص على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما رافق ذلك البغي من سفك الدماء وقتل خيرة الصحابة كعمار وخزيمة بن ثابت وحجر بن عدي وآخرين.

قال ابن حجر: (وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية، لكنه بغي لا فسق به، لأنه صدر عن تأويل يعذر به أصحابه) (١).

ولم يكتف القائلون بالتأويل بذلك، فترقى بهم الحال ليدعوا أن للبغاء أجرا على بغיהם:

قال ابن كثير: (... لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر، فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال، وليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب له أجران، والمحظى له أجر) (٢).

وقال ابن حزم: (وعمار (رضي الله عنه) قتل أبو العادية يسار بن سبع السلمي، وقد شهد بيعة الرضوان، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه، فأبو العادية... متأنل مجتهد محظى فيه باع عليه مأجوراً أجراً واحداً) (٣).

وذكر ابن حجر الرواية المشهورة عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في قوله لعمار بن

ياسر: (تقتلك الفئة الباغية) وأردفها بالقول: (إخبار من الصادق المصدق (رضي الله عنه) أن معاوية باع على علي، وأن عليا هو الخليفة الحق).

---

(١) الصواعق المحرقة: ٣٢٨.

(٢) السيرة النبوية، لأبي كثير ٢: ٣٠٨.

(٣) الفصل في الأهواء والمملل والنحل ٤: ١٦١.

وقال: وجوابه أن غاية ما يدل عليه هذا الحديث أن معاوية وأصحابه بغاة... ذلك لا نقص فيه، وأنهم مع ذلك مأجورين غير مأذورين... (١). وعلى الرغم من القول بالتأويل، إلا أنهم خرموا القاعدة في رأيهم بقتلة عثمان بن عفان، قال ابن حجر: (... إن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة، وإنما كانوا ظلمة وعنة لعدم الاعتداد بشبههم، ولأنهم أصرروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم) (٢).

والرأي في قتلة عثمان ينقض قاعدة التأويل، بل ينقض عدالة جميع الصحابة، لأن بعض الصحابة قد فسقوا بقتلهم عثمان كما يدعون، فما هو الملك في التأويل؟! فإذا كان قتلة عثمان قد قتلوا شخصاً واحداً، فإن معاوية ومن معه قتلوا آلاف المسلمين وعشرات الصحابة، بل استمر معاوية على هذا النهج وقتل جماعة من أخيار الصحابة حينما تسلط على المسلمين بقوة السيف، فلماذا نبرر لمعاوية بغيه على الخليفة الحق وسفكه الدماء، ولا نبرر لبعض الصحابة مشاركتهم في قتل عثمان؟ فما هو المرجح في التبرير؟

ولماذا يبرر لابن ملجم قتله الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما ورد عن البيهقي أنه قال: (ولا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً مقدراً على أنه على صواب) (٣).

---

(١) تطهير الجنان: ٤٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٢٦.

(٣) السنن الكبرى: ٨: ٥٨.

فالحق أنه لا ملاك في تأويل أخطاء الصحابة إلا ولاء المؤرخين وبعض العلماء إلى الوضع السياسي الغالب - لا سيما أيام معاوية بن أبي سفيان - وإظهاره بأفضل صور العدالة.

نقض التأويل والاجتهاد:

لو سايرنا الرأي الذي يبرر لبعض الصحابة ما ارتكبوه من أعمال وممارسات، سفكت فيها الدماء وتشتت فيها إلفة المسلمين وتخلخت جبهتهم الداخلية، تحت ذريعة التأويل والاجتهاد، فإننا نقطع بأن بعض الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص غير متأنلين وغير مجتهدين في بغيهم على الإمام علي (عليه السلام) وسفكهم الدماء، وإنما بغوا عليه متعمدين، وليس مطالبهم بدم عثمان إلا ذريعة واهية، وفيما يلي نستعرض الظروف والواقع التي تؤكد تعمدهم في البغي بلا تأويل ولا اجتهاد.

أولاً: عدم نصرة عثمان في حياته:

إن المطالبين بدم عثمان لم ينتصروه في حياته وهم قادرون على ذلك، فقد أوصى معاوية قائد جيشه أن يرابط قرب المدينة في زمن حصار عثمان، وقال له: (إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب). فأقام قائده بذري خشب حتى قتل عثمان، وحينما سُئل جويرية عن ذلك قال: (صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعوه إلى نفسه) (١).

---

(١) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١٢٨٩.

ولهذه الحقيقة أدلة وشواهد كثيرة، فحينما طلب معاوية من عبد الله بن سعد بن أبي سرح البيعة أجاب: (ما كنت لأبایع رجلاً أعرف أنه يهوى قتل عثمان) (١).

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: (إن أحق الناس ألا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت... أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، واستغاثك فأبطأت، وأما أنا فتركته عيانا) (٢).

وكان ابن العاص يحرض على قتل عثمان حتى الراعي في غنمته، وحينما سمع بمقتله قال: (أنا أبو عبد الله، أنا قتلتة وأنا بوادي السباع) (٣). فالذى تباطأ عن نصرة عثمان والذى حرض الناس على قتله هل يكونا مجتهدين في المطالبة بدمه؟ إلا أن نقول إن التباطؤ والتحريض هو اجتهد للوصول إلى الخلافة، واجتهد معاوية أيضاً حينما أصبح خليفة ترك ما يسميه قتلة عثمان خوفاً على سلطانه (٤) !!

فلا ميزان ولا مقاييس للاحتجاد عند أصحاب هذا الرأي، وهذا التبرير مخالف للقواعد الثابتة للإسلام، فالإسلام ثابت بموازينه وقيمته، والمسلمون هم الذين يقتربون ويتبعدون عن تلك الموازين والقيم، فيصيرون ويخطئون، ومن الأفضل للباحثين أن يصفوا الأشخاص بالوصف الذي يستحقونه دون تبرير حفاظاً على سلامية الموازين والقيم

١) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٣.

٢) الإمامة والسياسة ١: ٩٨.

٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥.

٤) أنساب الأشراف ١: ١٢٥.

الإسلامية الثابتة.

ثانياً: عدم اتباع الأسلوب المشروع في القصاص:  
إن طاعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) واجبة على معاوية وجميع أهل الشام، وهذا متسالم عليه عند فقهاء السنة في وجوب طاعة الإمام المبايع من قبل أهل الحل والعقد (١).

وقد حاجج الإمام علي (عليه السلام) معاوية بما هو مرتكز عند المسلمين، من أن طاعة الخليفة المبايع واجبة على بقية الأمصار، فقال في كتابه إليه: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما باياعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوك على اتباعه غير سبيل المؤمنين) (٢).

فطاعة الإمام علي (عليه السلام) واجبة، والأمر في القضاء والقصاص من اختصاصه، ولا حق لأحد من الأمة التدخل في ذلك، لأن ذلك يؤدي إلى الاضطراب والتشتت وضعف النظام، فالأسلوب المنطقى والشرعى أن يدخل معاوية في الطاعة ثم يطالب بالقصاص - لو كان له حق المطالبة لقرباته من عثمان - وفي ذلك كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية: (فاما طلبك قتلة عثمان، فادخل في الطاعة، وحاكم القوم إلي، أحملك وإياهم

---

١) الأحكام السلطانية، للماوردي: ٧. وأصول الدين، لعبد القاهر البغدادي: ٢٨٠.

٢) نهج البلاغة: ٣٦٦ - ٣٦٧ الكتاب ٦.

على كتاب الله وسنة رسوله (١).

فالواجب على معاوية الطاعة أولاً ثم طلب المحاكمة وانتظار الحكم النهائي فهو الذي يحدد استدامه البيعة لل الخليفة أو الخروج عليه، ولكن التحاجأ إلى أسلوب البغي والعدوان، وحينما أحس بقرب انتصار الإمام علي (عليه السلام) رفع المصاحف والتحاجأ إلى الصلح وترك المطالبة بدم عثمان.

ثالثاً: إلقاء الحجة:

إن اجتهاد معاوية باطل، لأن الحجة ملقة عليه، فقد وردت أحاديث مستفيضة عن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تؤكد على فضائل الإمام علي (عليه السلام) ووجوب

موالاته، ومنها حديث الغدير قوله (صلى الله عليه وآلها وسلم): (من كنت مولاه فهذا على مولاه) وهذا الحديث أخرجه (الترمذى والنمسائى وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعلها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صاحب وحسان) (٢).

وقول رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) للإمام علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام):

(أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم) (٣).

وقوله للإمام علي (عليه السلام): (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق) وقد ورد بالفاظ متعددة ترجع إلى معنى واحد (٤).

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٩٤.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٧: ٦١ دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٢ هـ ط ٢.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٥٢. وسير أعلام النبلاء ٢: ١٢٢.

(٤) صحيح مسلم ١: ٨٦. وسنن الترمذى ٥: ٦٣٥. وسنن ابن ماجة ١: ٤٢. وتاريخ بغداد ٢: ٢٥٥.

والبغي أشد صور البغض، وحديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حول عمر بن ياسر - كما تقدم - واضح الدلاله في أنه سيقتل من قبل الفئة البااغية الناكبة

عن الطريق، وقد أقيمت الحجة على معاوية وابن العاص، وهي واضحة لا لبس فيها ولا غموض، كما جاء في الرواية التالية: (وقد كان ذو الكلام سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعمار بن ياسر:

(تقتلك الفئة البااغية...) فكان ذو الكلام يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو؟ فيقول عمرو: إنه سيرجع إلينا، فقتل ذو الكلام قبل عمارة مع معاوية، وأصيب عمارة بعده مع الإمام علي (عليه السلام)، فقال عمرو لمعاوية: ما أدرني بقتل أيهما أنا أشد فرحا... والله لو بقي ذو الكلام بعد قتل عمارة لما بعامة أهل الشام إلى علي) (١).

وهذه الرواية تبين لنا أن الحق واضح حتى عند معاوية وابن العاص، فلا مجال للاجتهاد بعد وضوح الحجة.

رابعاً: الاعتراف ببطلان الموقف:

اعترف عمرو بن العاص ببطلان موقفه من الإمام علي (عليه السلام)، كما ظهر في كلامه مع معاوية حيث قال له: (أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة فإن في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرباته، ولكن إنما أردنا هذه الدنيا) (٢).

واستشار ابن العاص ولديه، فأشار عليه عبد الله بعدم الالتحاق بمعاوية، وأشار عليه محمد بالالتحاق، فقال ابن العاص: (أما أنت

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣١١.

(٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٦١. والكمال في التاريخ ٣: ٢٧٦.

يا عبد الله فأمرتني بما هو لي في آخرتي وأسلم لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وشر لي في آخرتي) (١). وأشار عليه علامه ورдан بالقول: (اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا، ومع معاوية الدنيا بغير آخرة... أرى أن تقيم في منزلك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنو عنك)، فقال ابن العاص: (الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية؟) (٢).

لم يترك الرجالان إذن مجالا لتأويل أفعالهما، بعد أن أفصحا عما في الصمائر والتوايا، فهل تكلف التأويل بعد كل هذه الاعترافات إلا تمحل وعصبية؟!

الرأي الخامس: الرأي المعتدل:  
يرى أصحاب هذا الرأي أن حال الصحابة كحال غيرهم من حيث العدالة، وفيهم العادل والفاسق، فليس كل من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عادلاً، وليس للصحبة دور في عدالة الصحابي ما لم يجسده سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سلوكه وموافقه، فالملائكة هو السيرة العملية، فمن تطابقت

سيرته مع المنهج الإسلامي فهو عادل، ومن خالف المنهج الإسلامي فهو غير عادل.

وهذا هو الرأي المعتدل المطابق للواقع الموضوعي الذي أشار إليه

---

١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥ . وبنحوه في الإمامة والسياسة ١: ٩٦ .  
٢) الإمامة والسياسة ١: ٩٦ .

القرآن الكريم والسنّة النبوية، وأكّدته سيرة الصحابة في عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبعده، وقد أجمع علماء وفقهاء الشيعة على ذلك، وتبعهم

جمهور من علماء وفقهاء العامة مخالفين للمشهور لديهم في ذلك.

ذكر السيد مرتضى العسكري الشواهد على هذا الرأي فقال: (ترى مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم: أن في الصحابة مؤمنين أثني عشر عليهم الله في القرآن الكريم... وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمهم الله في آيات كثيرة... وفيهم من أخبر الله عنهم بالإفك... وفيهم من قصد اغتيال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في عقبة هرش... وإن التشرف بصحبة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليس

أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فإن مصاحبهن له كانت من

أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهن: \* (يا نساء النبي من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين... ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجراً هررتين...) \*، ثم ذكر الروايات الدالة على ما سيقوم به بعض الصحابة من أحداث بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)) (١).

ورأي الشيعة الإمامية هو أو سط الآراء كما يقول السيد عبد الحسين شرف الدين: (رأي الإمامية في هذه المسألة... أو سط الآراء، إذ لم يفرطوا تفريط الغلاة، ولا أفرطوا إفراط الجمورو) (٢).

وفي بحثنا هذا لم نذكر رأي الغلاة الذين يكفرون جميع الصحابة، لأنّه من الآراء الشاذة المخالفة للقرآن وللسنة ولسيرة الصحابة وللمنطق السليم، وقد انفرض هذا الرأي، ولا يوجد في الوقت الراهن من يقول به،

١) معالم المدرستين ٩٧ - ٩٨. والآية من سورة الأحزاب ٣٣: ٣٠ - ٣٢.

٢) الفصول المهمة، لعبد الحسين شرف الدين: ١٨٩ مؤسسة البعثة - طهران ط ١.

فالصحابة وإن انحرف بعضهم وفسق في ممارساته العملية إلا أن صفة الإسلام لا تسرب منه ما دام يشهد الشهادتين.

والرأي المعتدل الذي ذكرناه آنفاً، تسامم عليه بل أجمع عليه علماء وفقهاء ومتكلمو الشيعة، وهو الرأي الموافق للقرآن، والموافق للسنة - كما تقدم في حديث الحوض - وأحاديث أخرى، والموافق لسيرة الصحابة حيث كذب بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً، ونسب بعضهم الفسق إلى البعض الآخر.

وعدالة جميع الصحابة لم تذكر على لسان أي صحابي، ولم يحتاج بها أحد من الصحابة في خضم الأحداث والواقع، ففي جواب عائشة لخالد ابن الواشمة حينما قال فيهم: (لا يجمعهم الله في الجنة أبداً). قالت: (أو لا تدرى أن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قادر) (١) فلم تحتاج عليه بالعدالة، وإنما أرجأتهم إلى رحمة الله تعالى.

وهذا الرأي المعتدل لم يكن من مختصات الشيعة وحدهم، ولم ينفردوا به، بل تابعهم عليه جمع غير من علماء وفقهاء العامة وصرحوا بأن الصحابة غير معصومين، وفيهم العدول وغير العدول، ومن القائلين بهذا: سعد الدين التفتازاني، والم Zarzi، وابن العماد الحنبلي، والشوكياني وآخرون (٢).

ومن المتأخرین محمد عبده، ومحمد بن عقيل العلوی، ومحمد رشید رضا، والمقبلى، وسيد قطب، ومحمد الغزالى، ومحمد أبو رية وآخرون.

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي ٨: ١٧٤.

(٢) الإمامة في أهم الكتب الكلامیة: ٤٦٥.

فِهِمْ يَقُولُونَ بِقَوْلِ الشِّيَعَةِ مِنْ أَنَّ الْعِدْلَةَ مُخْتَصَّةٌ بِبَعْضِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَمْ يَبْدُلُوهَا وَلَمْ يَغْيِرُوهَا. وَمِنْ يَتَابُعُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالسَّنَةَ النَّبُوَّيَّةَ وَسِيرَةَ الصَّحَابَةِ أَنفُسَهُمْ كَمَا تَتَبعُنَاهَا، يَجِدُ صَحَّةً هَذَا الرَّأْيِ الْقَائِلَ بَعْدَ عَدْلَةِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ. وَآخِرُ دُعَوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٢٩)